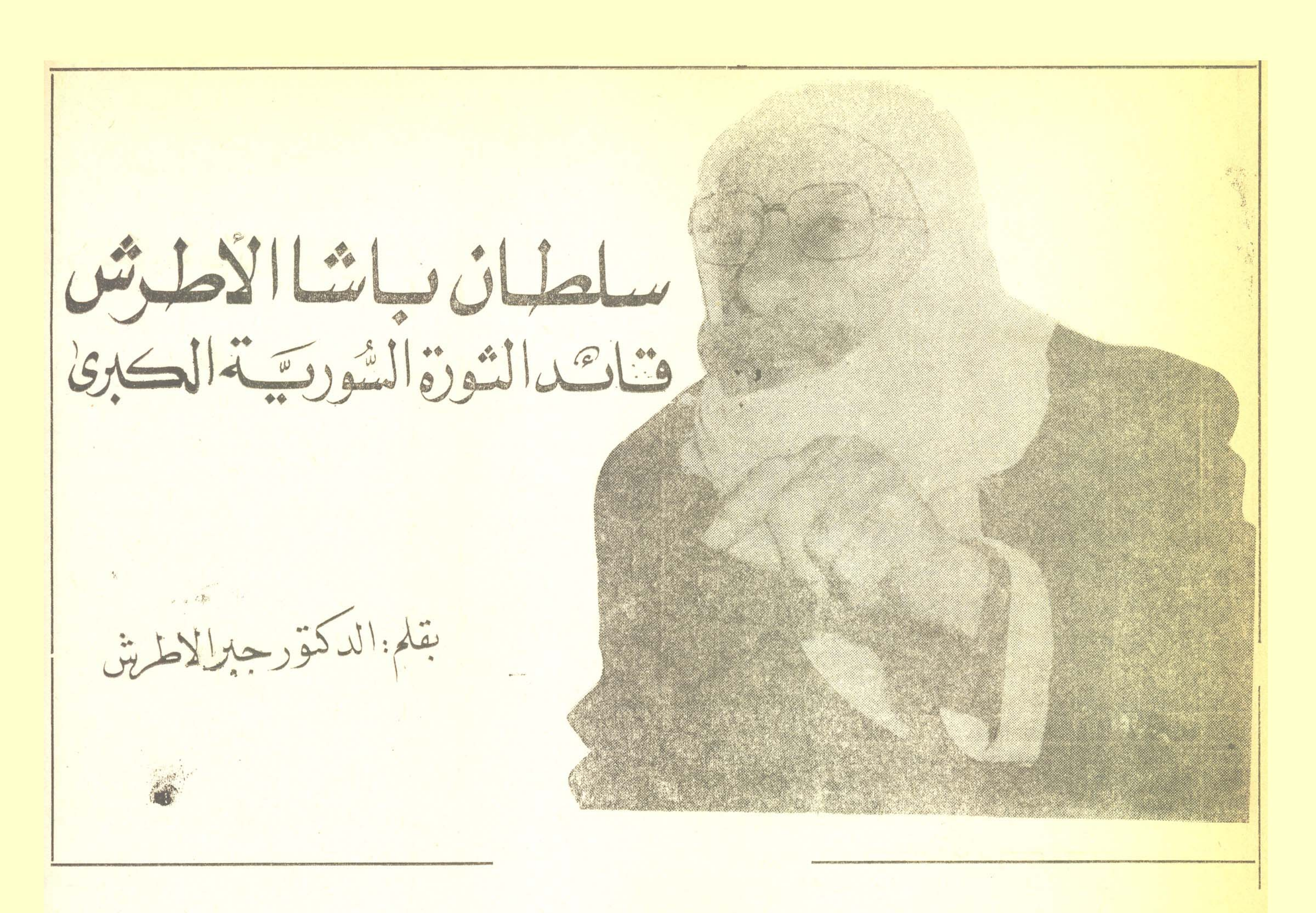


سلطان باشا الأطرش
قائد الثورة السورية الكبرى

بقلم: الدكتور جبر الاطرش

١ ـ طبيعته ، طباعه ، منزلته في قلوب ابناء وطنه :

في بيت متواضع ، مبني من حجر البازالت الصلب الازرق الداكن ، وفي بلدة القرية الواقعة قريبا من الحدود السورية الجنوبية مع المملكة الاردنية ، يقطن سلطان باشا الاطرش ، القائد العام للثورة السورية الكبرى .

دخل سلطان الاطرش في أوائل العام ١٩٨٠ العقد التاسع من عمره ، وما زال يستمتع بكامل قواه ، يستقبل في كل يوم في مضافته العربية البسيطة ، مختلف الزوار من أبناء سورية ، ومن الوطن العربي الكبير ، ومن الاجانب الراغبين في التعرف على شخصه أحيانا ، يتجاذب معهم أطراف الحديث ، والابتسامة الوادعة لا تفارق وجهه ، ابتسامة الثقة والرضا والمحبة .

زاره في داره في القرية في منتصف الستينات الاديب الشاعر سلامه عبيد ، بقصد أن يعرض عليه ما جمعه من معلومات ووثائق عن الثورة السورية الكبرى ، لنشرها في كتابه حول الموضوع ، الذي صدر عن مطابع « دار الغد » في بيروت عام ١٩٧١ . ورسمت ريشة الاديب الشاعر صورة لسلطان الاطرش ، ننقلها بأمانة لصدقها واقترابها من الواقع . وليس مستغربا ان يوفق الاديب سلامة عبيد في وصفه وتصويره ، وهو ابن المجاهد الكبير علي عبيد ، الرفيق الامين لسلطان الاطرش على دروب النضال الشاقة ، منذ البدء وحتى ألقت الثورة أوزارها وجنى السوريون العرب ثمارها اليانعة من الحرية والاستقلال .

كتب الاستاذ سلامه عبيد يقول :

« يبدو سلطان الاطرش في حياته اليومية ، فلاحا بسيطا ، بسيطا في مسكنه وملبسه ومأكله . الا انه بخلاف الفلاحين الجبليين ، يظل غير مبذر أومتلاف يحب الارض ويعمل فيها بيديه ، يبكر في تفقد الحقل أو البيدر أو الحظيرة ، وكثيرا ما شوهد متربعا بين أكداس القمح ، أو جالسا فوق صخرة من صخور البرية . محب للصيد بل قد يكون مولعا به . يبدو كذلك بسيطا في حديثه ، هادئا ، يميل الى الاستماع أكثر من ميله الى الكلام ، موجزا في حديثه ، موجزا في اجوبته ، في عينيه الصغيرتين الزرقاوين صفاء وعمق ، وفي أنفه الضخم صلابة وكبرياء هادئة . أما شارباه العريضان فانهما ينسدلان غزيرين فوق الشفتين والذقن النافرة المستديرة بشيء من التراخي ، ولكنهما في حالات الحرج أو الغضب ، ينتصبان ويرفان كجناحي عقاب يهم بالطيران » .

« يعرف سلطان القراءة والكتابة ، ولكنه يفضل غالبا أن يقرأ له عند الضرورة ، وان يملي على كاتب أو صديق . يلم بالسياسة العالمية ، لا يعرف تفاصيلها ، ولكنه مؤمن بان في العالم قوى تتصارع لاستعباد الضعيف ، وتمزيق أرضه وسلب خيراته ، ومن ثم فهو مؤمن بأن ذلك القوي لا يفهم الا لغة السيف ، وبأن كأس الحنظل في العز ، أشهى من ماء الحياة في الذل . ومع ذلك فقد علمته التجارب ان يكون شديد الحذر من السلطة ، من كل سلطة . رابط الجأش لا تذهله المفاجأة ، بدوي الطباع ، يضرب ويبتعد استعدادا لضربة جديدة . يكابر ولكنه لا يقامر بمصير رجاله . يعتز بالنصر ولكنه لا يستعجله ، صبور لا يسأم ، غضوب ولكنه لا يحقد حتى على أعدائه ، زوج مخلص عفيف ، لا يشرب ولا يدخن ولا يتبذل » .

« وسلطان ملم بالديبلوماسية ، ولكنه يفضل عليها صراحة البدوي ، لم يشتهر بالدهاء بقدر ما اشتهر بالعفوية والبساطة ، ملم بروح العصر يسايرها ولا ينبناها ، يتعصب للتقاليد ويحميها بحماسة ، يفضل التطور البطيء على الثورة الجامحة ، رغم استعداده الفطري للثورة . ميال للتخلص من الجاذبية العائلية ، ولكنه ظل عاجزا عن تجاوز اجواء ترتكز على الجاذبيات العائلية . مشجع للعمل الوطني القومي المنظم ولكن من بعيد ، دون مشاركة شخصية . ومع ذلك فقد حدث مرارا ان يضع ثقله الى جانب المنظمات القومية ، مشجعا ومؤيدا ، ودرعا لها في بعض الازمات ، ولا سيما مع عصبة العمل القومي ، ومن ثم مع حزب البعث العربي الاشتراكي ، وضد الدكتاتورية أو الدكتاتوريات المتعاقبة بعيد الاستقلال . يتعاون مع رجال الدين ، ولكنه قلما استسلم لهم . قد يكبو مثل كل جواد ، الا انه سرعان ما يتابع سيره ثابت القدم صادق العزم » .

« لا يعرف من بلاد العالم غير « بلاد الروملل » حيث سيق صغيرا ليخدم العلم العثماني بعد ان شنق العثمانيون والده عام ١٩١٠ . ومن ثم فان اقصى ما يعرفه من المدن ، مدينة دمشق شمالا ، ومن الجنوب مدينة عمان التي مر بها غير مرة ، مرورا عابرا ، ذاهبا الى منفى او آتيا من منفى » .

« أبرز ما فيه أنه نموذج للبطل الشعبي الذي يظل سيفه أقوى تعبيرا من قنمه ، ويظل فهمه المبدئي للحق والواجب بلا ظلال ولا تفاصيل . انه مزيج من قائد وزعيم ، الا ان صفات القائد تظل فيه أكثر عمقا وأكثر اصالة .. » (انتهى) .

آثر سلطان باشا الاطرش حياة البساطة بين أهله وعشيرته ، واستقر منذ أن عاد من المنفى عام ١٩٣٧ في ضيعته « القرية » ، ولم تغره المدنية بمفاتنها وسهولة العيش فيها ، رغم محاولات سلطات دمشق الوطنية بعد أخذ الاستقلال ، اقناعه بسكنى المدينة ، ورغم اهدائهم له قصرا فخما لهذه الغاية . فما كان منه الا أن تجاهل الهدية وكأنها لم تكن ، ولم تطأ قدماه يوما القصر . كما أنه رفض بصورة حازمة جميع المناصب الرفيعة والانعامات التي قدمت له تقديرا لجهاده ، ولما له من أياد في رفع اسم بلده وشعبه العربي السوري عاليا ، مرددا في كل مرة :

« لقد قمت بواجب مقدس نحو وطني وبني قومي، ولا انتظر على ذلك حمداً أو شكراً . واما الفضل في قهر العدو وتحرير الارض من الاحتلال والعدوان، فانما يعود بكامله الى شهدائنا الابرار الذين قدموا أرواحهم رخيصة لتعيش أمتهم حرة كريمة، والذين لاقوا أروع مكافأة وعدهم بها الله عز وجل في كتابه الكريم، قوله:

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ،بل أحياء عند ربهم يرزقون » (صدق الله العظيم) .

أحب العرب في جبل العرب، وفي كل مكان، سلطان باشا الاطرش حبا جما، واجمعوا على حبه اجماع الرجل الواحد .

وأصبح بيت سلطان في القرية محجا يؤمه ابناء وطنه، واصبحت كلمته في اعقد القضايا، في حدود جبل العرب وما وراءها، هي العليا والفصل . صاحب الحظ الكبير من أبناء الجبل هو ذاك الذي يقبل سلطان دعوته لزيارته في بيته، في واحدة من قرى الجبل المزروعة على القمم والهضاب وفي السهل .. ذلك يوم عيد، يحتشد فيه الاهالي من مختلف انحاء الجبل وكأنهم على موعد، فتعم الافراح، وتملأ الاهازيج الشعبية أعنة السماء، وتبلغ حماسة الشباب اشدها، فتنطلق في الهواء ألوف العيارات النارية ابتهاجا بالمناسبة السعيدة .

* * *

تلك صورة من حياة سلطان الاطرش، الانسان الدمث المتواضع والبطل الاسطورة الذي قاد ثورة سورية الكبرى ضد الاحتلال والعدوان، حتى النصر، ومن ثم سلم الامانة الى الاجيال الصاعدة لتوطيد ما أحرز من مكتسبات، ولتحقيق انتصارات جديدة على دروب النضال من أجل الوحدة والحرية على امتداد أرض الوطن العربي الكبير .

انها محاولة متواضعة لاعطاء فكرة عن واقع الحياة التي يعيشها سلطان الاطرش بين أهله وبنيه أبناء جبل العرب وفي عرينه القرية، منذ أن وضع السيف جانبا وركن الى الهدوء والاستقرار .

ولكن ماذا عن حياة سلطان الاطرش العامة ؟ ماذا عن تاريخ نضاله في وجه الطغيان التركي، وعن دوره في اقامة الدولة العربية في دمشق بعد انحسار ظل الاستعمار العثماني عن الارض العربية، وعن قيادته للثورة التحررية في وجه الاحتلال الفرنسي حتى النصر وابطال صك الانتداب البغيض ؟

ماذا كتب مؤرخو وقائع الثورة الكبرى، ادهم آل الجندي، والدكتور محي الدين السفرجلاني، وظافر القاسمي، وسلامه عبيد وغيرهم كثيرون ؟. وماذا قال الخصوم وعلى رأسهم الجنرال اندريا أحد كبار قادة جيش فرنسا في الشرق، الذي عايش الثورة وقاد قوات الاحتلال في أكثر من معركة ؟

هذا ما سنحاول استشفافه في الصفحات القليلة اللاحقة وبما أمكن من ايجاز .

٢ ـ نضاله في وجه الطغيان التركي، ورفعه علم الدولة العربية في سماء دمشق :

بلغ ظلم الاتراك في السنوات الاولى من القرن العشرين، حدودا لا تطاق، وثار الاحرار العرب على الجور والاضطهاد، وظن الحكام الاتراك ان القضاء على روح الثورة على الارض العربية، ممكن باستعمال سياسة القمع والتصفيات الجسدية، وصدرت الاحكام التعسفية باعدام العشرات من قادة التنظيمات السياسية الداعية للثورة : السرية منها والعلنية وسيق العديدون الى ساحات الاعدام ليلاقوا الموت على أعواد المشانق .

في السادس من أيار ١٩١٠ تم تنفيذ حكم الاعدام

شنقا بعدد من زعماء النضال في سورية العربية من مختلف المناطق السورية ، كان في عدادهم عدد من ابناء جبل العرب الذين جاهروا الحكم التركي العداء وطالبوا برحيله عن الارض السورية ، وفي طليعة ابناء الجبل كان ذوقان الاطرش والد سلطان . وبعد فترة وجيزة من استشهاد والده سيق سلطان الاطرش لخدمة العلم العثماني مع الالوف من أبناء الوطن العربي الخاضع آنذاك لنفوذ السلطنة العثمانية وقضى سلطان فترة الخدمة على أرض مقدونيا الواقعة تحت النفوذ التركي .

عاد سلطان الى سورية من خدمة العلم والحقد يملأ كيانه ضد الحكم التركي ، وحسرة استشهاد والده على يد الاتراك تدمي قلبه . وفي الجبل شارك سلطان الفرسان الدروز ثورتهم ومعاركهم في وجه التجريدات التركية .

وشاءت الاقدار ان تشتعل نيران الحرب العالمية الاولى وان تتم هزيمة الدولة العثمانية على يد الحلفاء ، وأفاد البريطانيون من الحقد العربي على الحكم التركي الذي استعمر الارض العربية أربعة قرون ، فطرحوا على الشريف حسين ، ملك الحجاز ، مشروع تأسيس امبراطورية عربية تقوم على انقاض الامبراطورية العثمانية ، تشمل بلاد العراق وسورية وفلسطين والاردن ، تحت اشراف الحسين من مقر عرشه في الحجاز ، وتنصيب أولاده عليا وفيصل وعبد الله وزيدا على كل من تلك الاقطار .

في مقابل هذه العروض السخية يتعهد الحسين بدعوة الاحرار العرب الى الجهاد المقدس ، وتوجيه الضربة القاصمة لفلول جيوش تركيا والمانيا وتحرير الارض العربية ، تحت لواء الجنرال ألنبي قائد جيوش بريطانيا في الشرق .

سارت الامور مثلما أرادها البريطانيون وخططوا لها ، وكانت قوات الجيش العربي وفي مقدمتها مفارز الخيالة من دروز جبل العرب بقيادة سلطان باشا الاطرش ، في طليعة جيش الحلفاء البريطانيين والفرنسيين ، وفي ٢-١٠-١٩٢٠ دخلت القوات المشتركة العربية - البريطانية - الفرنسية دمشق ، لتعلن تطهيرها دون رجعة من براثن الحكم العثماني . واستقبلت دمشق الجيش العربي الفاتح بالتهليل والتكبير وعمت البشائر باشراق فجر جديد من السيادة العربية على أرض العرب .

وجد البريطانيون نفسهم في حرج كبير ، بين وعدهم لشريف مكة الحسين بن علي باقامة الدولة العربية على أرض دمشق في مقابل مشاركته عسكريا في تحرير الارض ، وبين ارتباطهم مع فرنسا بموجب معاهدة سايكس / بيكو الموقعة بتاريخ ١٩-٢-١٩١٦ ، قبيل هزيمة المانيا وحليفتها تركيا التي اقتسمتا بوجبها التركة العثمانية من أراضي شرقي البحر الابيض المتوسط بينهما بالتراضي دون منازع ، في غياب الشعب العربي صاحب الحق الاول على تلك الاراضي .

تغيرت الاوضاع رأسا على عقب أمام يقظة العرب العارمة ومشاركة الجيش العربي في الانقضاض على القوات الالمانية التركية والتعجيل بسقوطها . ولم يعد بالامكان تجاهل الشعب العربي وحقه الثابت بالاستقلال على تراب وطنه .

في هذه الاثناء ، ودون اضاعة للوقت ودون الاستئذان من أحد ، تنادى قادة الرأي في سورية عامة لعقد مؤتمر وطني شامل في دمشق ، خلال الاسبوع الاول من آذار ١٩٢٠ لبحث الموقف وقد تحررت الارض من الاحتلال وزال ظلم الحكم العثماني دون رجعة . وبتاريخ ٨ آذار ١٩٢٠ أصدر المؤتمر قراره التاريخي ، بالاجماع ، باعلان استقلال سورية وسيادتها وتتويج فيصل بن الحسين ملكا .

وأطل سلطان الاطرش على جماهير الشعب العربي السوري المحتشدة في ساحة المرجة في قلب العاصمة دمشق ، يحيط به الضباط القادة في الجيش العربي ، واعلن ارادة الشعب العربي السوري ، الصادرة عن ممثليه الشرعيين ، بقيام الدولة العربية ، ورفع عاليا العلم العربي على شرفة دار الحكومة رمزا للسيادة . وعلت هتافات الجماهير بحياة الدولة الجديدة وملكها فيصل الاول .

٣ - استعمار جديد لسورية باسم صك الانتداب الفرنسي :

لم يرق الامر فرنسا التي كانت تطمح لاستعمار

سورية ولبنان وفرض نفوذها على المنطقة دون منازع. فرفضت فكرة قيام الدولة العربية في دمشق، وانذرت بريطانيا بعدم الموافقة على وعود قطعها مسؤولون بريطانيون للشريف حسين لم تكن فرنسا طرفا فيها، وهددت بنقض جميع الاتفاقات المعقودة بين الدولتين واعادة النظر فيها جميعا.

لم تجد بريطانيا بديلا عن الرضوخ لارادة حليفتها فرنسا، وعن اطلاق يدها في تهديم الدولة العربية الوليد.

في ٢١-٩-١٩١٩ نزل في مرفأ بيروت الجنرال غورو المعين قائدا عاما للجيش الفرنسي في شرقي البحر الابيض المتوسط ومندوبا ساميا لفرنسا في سورية ولبنان، يحمل مهام ترسيخ الاحتلال الفرنسي للمنطقة باسرها، مع صلاحيات مطلقة لطلب كل ما يحتاج اليه من دعم مالي وعسكري.

وفي ٢٥-٤-١٩٢٠ اجتمع في سان ريمو في ايطاليا ممثلو الحلفاء، بناء على دعوة فرنسا واصرارها، واتفقوا فيما بينهم على منح فرنسا الحق باحتلال الاراضي السورية واللبنانية، باسم صك الانتداب، البدعة الجديدة التي ابتكرها الاستعمار البريطاني الفرنسي لتبرير اغتصاب أرض الشعوب المستضعفة.

استنادا الى صك الانتداب، ورغم الاحتجاجات الصاخبة التي أطلقها الشعب العربي في سورية، شرع الجنرال غورو، من مركز قيادته في بيروت، بتوجيه الانذارات الى الملك فيصل بوجوب النزوح عن دمشق، مؤكدا عدم اعتراف فرنسا بدولة دمشق، معلنا أن الحلفاء الفرنسيين البريطانيين هم وحدهم اصحاب الحق في تقرير مصير الممتلكات الموروثة عن الامبراطورية العثمانية التي يعود الفضل في هزيمتها وتقطيع أوصالها لجيوش الحلفاء المظفرة.

لم ينتظر غورو رد الملك فيصل. في ٢٠-٧-١٩٢٠ جرد حملة لفتح دمشق بقيادة الجنرال غوبيه، دعمها بكل ما لدى فرنسا من قوات مدرعة وطائرات. ولم يبق أمام الملك فيصل وحكومته العربية السورية من خيار، اما مقاومة الغزاة او الرضوخ لارادتهم واعلان سقوط الدولة العربية.

عهد الملك فيصل الى وزير دفاعه يوسف العظمة بجمع ما لديه من قوات لصد الغزاة المعتدين. والتقى الجيشان العربي والفرنسي في ميسلون، على بعد ٢٥ كيلو مترا من دمشق. وكانت المعركة الرهيبة، وسقط يوسف العظمة شهيدا على سفوح هضبات ميسلون بشظايا قنابل الطائرات المغيرة في ٢١-٧-١٩٢٠

في ٢٥-٧-١٩٢٠ دخل غورو دمشق وقد أمست مدينة مكشوفة بعد معركة ميسلون، واعلن سقوط عرش الملك فيصل وولاية فرنسا على سورية بوصفها الدولة المنتدبة، بارادة الحلفاء قاهري المانيا وحلفائها. وباشرت فرنسا بفرض سيطرتها التامة على دمشق، بالحديد والنار، وطاردت القادة السياسيين الذين رفضوا التسليم بالواقع والتعاون. وسارعت القيادة العسكرية بتوجيه الحملات لفتح المدن السورية الكبرى في أواسط سورية، وفي الشمال والشرق، وعلى الساحل الغربي.

في لبنان باشر الجنرال غورو بث الدعايات بوجود صداقة تقليدية بين فرنسا وسكان لبنان، لها جذور عميقة في التاريخ. وفي ١-٩-١٩٢٠ أعلن غورو بوصفه المندوب السامي لفرنسا، وبقوة ما يعطيه صك الانتداب من حق الولاية والتشريع، قيام دولة «لبنان الكبير» المستقلة تحت حماية فرنسا، المؤلفة من جبل لبنان ولواء بيروت (الذي يضم أقضية صيدا وصور ومرجعيون وطرابلس الشام)، بالاضافة الى الاقضية السورية الاربعة، بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا، التي صدر أمره السامي بسلخها عن سورية وضمها الى دولة لبنان الكبير.

وارتفعت أصوات الاحتجاج من سلطات دمشق الوطنية على هذا التصرف المخالف للواقع والقانون والذي لا يوجد له أي مسوغ حتى في صك الانتداب نفسه. وذهبت الاحتجاجات جميعها أدراج الرياح. تماما مثلما حصل بعد ١٨ عاما، عندما تنازلت فرنسا عام ١٩٣٨ عن لواء الاسكندرون العربي السوري لتركيا، في صفقة مصالح متبادلة بين تركيا وفرنسا، وبتزوير صارخ لارادة شعب اللواء العربي.

هذا بالطبع مع الفارق الكبير بين لبنان العربي الاصيل وتركيا التي استعمرت العرب اربعمائة سنة .

أبى الشعب العربي السوري ان يعترف بالهزيمة واعلن الجهاد المقدس في وجه الاحتلال ، في حرب عصابات واستنزاف تقض مضاجع الغزاة وتنزل بهم ما أمكن من خسائر .

وتنادى المواطنون العرب السوريون الى حمل السلاح ، وعمت الثورات الارض السورية ، ثورة في الشمال بقيادة ابراهيم هنانو ، وثورة في الساحل الغربي بقيادة صالح العلي ، وفي الجزيرة والفرات بقيادة رمضان شلاش ، وفي حمص وحماه بقيادة سعيد العاص ، وفي دمشق وغوطتها ومرتفعات الزبداني بقيادة حسن الخراط واحمد مريود ونسيب البكري ونزيه المؤيد العظم .

وشارك في ثورات الشعب السوري مجاهدون عرب لبنانيون أبوا الاعتراف بالاحتلال والسيطرة الغربية على أرض لبنان ، نذكر من بينهم اسماء لمعت على مستوى القيادة ، أمثال الامير عادل ارسلان ، ورشيد طليع ، وفؤاد سليم ، وعادل النكدي ، وقد استشهد كل من فؤاد سليم وعادل النكدي على ساح المعركة ، الاول في مجدل شمس في مرتفعات الجولان في ٣-٤-١٩٢٦ ، والثاني في معركة جرمانا في غوطة دمشق الشرقية بتاريخ ٣١-٧-١٩٢٦ ، ابان بلغت الثورة على الارض السورية أوج الحدة .

وبلغت روح التضحية ونكران الذات اشدها على اتساع رقعة الوطن العربي السوري ، منذ الايام الاولى لدخول جيش الاحتلال الفرنسي الارض السورية ، ولم تبق قرية في سورية الا وقدمت الاضاحي وجاهرت الغزاة العداء وجعلتهم يشعرون انهم دخلاء مكروهون .

٤ - هزيمة الجيش الفرنسي على ساح جبل العرب ومبايعة سلطان باشا الاطرش قائداً عاماً للثورة السورية الكبرى .

دخلت القوات الفرنسية السويداء في حزيران ١٩٢١ ، وأظهر القادة منتهى الرقة واللين في احتكاكهم الاول بسكان جبل العرب ، وبشروا بأن صك الانتداب هو في جوهره رسالة انسانية تثقيفية بحتة ، وان الوجود الفرنسي على الارض السورية مؤقت ، ينتهي حكماً وحتماً ببلوغ الشعب السوري الرشد ، ثقافياً وسياسياً ، لحمل المسؤوليات والاعتماد على النفس لتسيير شؤون الادارة ذاتياً .

وعود خلابة لم تنطل على سكان الجبل ، ولم تثنهم عن العزم على النضال من أجل اخذ الاستقلال الناجز وتطهير الارض من الوجود الاجنبي . وقد تبين كذب هذه الوعود في السنوات الاولى من الاحتلال ، عندما تولى شؤون الادارة في جبل العرب باسم الدولة المنتدبة قائد حامية دمشق الكابتين كاربييه الذي اشتهر بالفظاظة والغطرسة .

في تلك الاثناء ، كان سلطان الاطرش ورفاقه المجاهدون قد عادوا من دمشق أثر سقوط الدولة العربية ، يحملون في الاعماق مرارة معركة ميسلون التي لم يتسن لهم المشاركة في أعمالها ، ويحملون في الوقت نفسه التصميم على الثأر . وقد ارتأى سلطان على أهل الجبل عدم التعرض للقوات الفرنسية في الظروف الراهنة في العام ١٩٢١ ، واحتوى هيجانهم ، مؤكداً أن المجابهة بدون تخطيط واستعداد مسبقين ، تعني الهزيمة المحققة بسبب انعدام تكافؤ القوى ، ولان جبل العرب ما كان مستعداً لدخول المعركة . وطلب سلطان الى رجاله أن يكونوا على أهبة الثورة في وجه الغزاة عندما يحين الوقت وتدق ساعة الصفر .

حصلت المجابهة الاولى بين القائد سلطان الاطرش وقوات الاحتلال المرابطة في السويداء في شهر تموز ١٩٢٢ ، اذ دخلت قوة من الشرطة دار سلطان الاطرش في القرية ، واعتقلت المجاهد اللبناني أدهم خنجر آل الاسعد ، من صيدا شمالي لبنان ، وساقته الى السويداء . وكان سلطان الاطرش غائباً عن القرية ، وكان أدهم خنجر ، المتهم بالمشاركة في محاولة لاغتيال الجنرال غورو في بيروت في وقت سابق ، قد لجأ الى دار سلطان الاطرش في جبل العرب محتمياً من ملاحقة السلطات الفرنسية له ، وهو يعلم ان من يدخل جبل العرب طالباً الحماية يصبح في حصن حصين ويتمتع بحقوق « الدخيل » المصونة في عرف التقاليد العربية الاصيلة .

اعتبر سلطان الاطرش دخول بيته في غيابه

واختطاف ضيفه ، اهانة خطيرة لا تغتفر ، وبعث شقيقه عليا يطالب السلطات الفرنسية في السويداء باعادة ضيفه وعدم المساس به ، محذرا من مغبة التمادي في خرق الحرمات . ولكن قائد الحامية الفرنسية اعتبر الطلب تحديا مكشوفا للسلطة والقانون وجاء رده جازما بأن الضيف أدهم خنجر سيرسل الى بيروت ليحاكم وينال العقوبة التي يستحق .

قرر سلطان الاطرش ان يغسل بالدم العار الذي لحق به بانتهاك حرمة بيته ، وأخذ يتربص الفرصة لانزال ضربة صارمة بالقوات الفرنسية على أرض جبل العرب . نقل اليه رجاله أن ثمة قوة قادمة من حوران غربا في طريقها الى السويداء ، فخف لمقاتلتها على رأس ثلة من الفرسان ، وامهلها الى ان وصلت الى قرية الاصلحة على بعد بضعة كيلو مترات من السويداء ، وباقل من القليل كان الفرسان العرب يشتبكون مع مصفحات العدو ، ويقفزون من سروج خيولهم على ظهور المصفحات ويقتلون من فيها برصاص مسدساتهم ويأسرون من بقي منهم على قيد الحياة .

جن جنون قائد القوات الفرنسية في السويداء للحادثة المروعة وأسرع بارسال أدهم خنجر الى بيروت على متن طائرة خاصة حيث تم تنفيذ حكم الاعدام فيه على الفور .

لم يكتف مندوب السلطة الفرنسية في السويداء بارسال أدهم خنجر لبيروت ليلاقي مصيره ، وانما رأى أن ينتقم لكرامة الجيش الفرنسي بصورة أكثر صرامة . فصدرت الاوامر بتوجيه عشرة طائرات الى القرية معقل سلطان الاطرش لتدمير كل ما يملك من مساكن مبنية عن بكرة أبيها ، وبعثت في نفس الوقت ارتالا من المصفحات تجوب القرى وتنشر الرعب في نفوس النساء والاطفال ، وتكيل التهديد والوعيد .

مرت فترة السنتين ١٩٢٣ و ١٩٢٤ ونيران الثورة تعس تحت الرماد ، وقوات الاحتلال تحث الخطى في أحكام قبضتها على جبل العرب ، باستعمال القوة حينا ، وبالحسنى والوعود المعسولة وتوزيع المناصب أحيانا .

بقيت عيون الثوار ساهرة خلال تلك الفترة ، وتابع سلطان الاطرش جهوده في تنظيم الصفوف وفي الاتصال المستمر بقادة الثورة في مختلف المناطق في سوريا للتنسيق ما بين الثوار استعدادا للمعركة القادمة المرتقبة .

معركة الكفر :

في ١٨ تموز ١٩٢٥ حلقت طائرتان فرنسيتان فوق المناطق الجنوبية من الجبل لاستكشاف معاقل الثوار ، وتمكن المجاهدون من اسقاط احداهما برصاص بنادقهم ، فهوت قريبا من قرية امتان في أقصى الجنوب وتمكن الثوار من أسر قائدها ومن ثم أفرجوا عنه وأعادوه الى السويداء سليما .

اعتبرت السلطة العسكرية في السويداء الحادثة تحديا سافرا ، وسيرت حملة انتقامية لمداهمة المجاهدين في معاقلهم في الجنوب عهدت بقيادتها الى واحد من خيرة ضباطها الكابتن نورمان .

لم ينتظر المجاهدون وصول الحملة فزحفوا لملاقاتها واشتبكوا معها في قرية الكفر وهي في طريقها الى صلخد عاصمة الجنوب . وقاوم الجنود الفرنسيون وآثروا الموت على الاستسلام ، ولم يسلم منهم سوى أفراد احتموا ببيوت القرية .

وخسر المجاهدون في المعركة عددا من خيرة رجالاتهم كان من بينهم مصطفى الاطرش شقيق سلطان الاطرش واسماعيل جاد الله الاطرش .

وتابع الثوار مسيرتهم المظفرة ، فقضوا على الحامية الفرنسية في صلخد في الجنوب ، وزحفوا على السويداء فطهروا جهاز الادارة فيها من الموظفين والاذناب ، ولاذت الحامية الفرنسية بالفرار واحتمت في قلعة السويداء الحصينة الواقعة على هضبة شرقي المدينة حيث بقيت محاصرة عدة شهور .

معركة المزرعة :

تبقى معركة المزرعة على مر الاجيال صفحة خالدة

في تاريخ الحروب ويوما عظيما من ايام العرب المشهورة .

كان استعداد الجيش الفرنسي لخوض المعركة على أشده ، وقد أشرف الجنرال سراي القائد العام لجيوش فرنسا في الشرق والمفوض السامي لفرنسا على سورية ولبنان ، أشرف بنفسه على تجهيزات الجيش وسمى نائبه الجنرال ميشو قائدا عاما للحملة . ويذكر المؤرخون ان الحملة كانت تعد ما يزيد عن ثلاثة عشر الف مقاتل من مختلف الاسلحة تدعمها ارتال من المصفحات والآليات وعدد كبير من الطائرات .

بدأ زحف الجيش الفرنسي في أول آب ١٩٢٥ من سهول حوران غربا باتجاه السويداء . وانحدر المجاهدون من هضبات الجبل ومن القرى الواقعة غربي السويداء وشمالها ، وحاولوا من البدء اختراق صفوف العدو ، الفرسان والمشاة على حد سواء ، والاشتباك معه بالسلاح الابيض ، وبهذه الصورة ابطال لمفعول آليات العدو الفتاكة ، المدافع والمصفحات والطائرات ، واعتماد لعنصر السرعة والمفاجأة .

استمرت المعركة ثلاثة ايام بين كر وفر .. وفي نهاية اليوم الثالث كان الرعب قد استولى على قلوب جند العدو ، وعمت الفوضى صفوفه ، واصيب قائد الجيش الجنرال ميشو بجروح بليغة فلاذ بالفرار على متن سيارة مصفحة مخلفا وراءه فلول جيش مهزوم واكواما من الآليات والاسلحة والذخيرة .

وقدرت خسائر الثوار ببضعة مئات من الشهداء كان في طليعتهم القائد حمد البربور من أركان قيادة الثورة وشقيقه أجود ، وكان وقع خسارة القائد حمد البربور عظيما في نفس سلطان الاطرش .

سورية تبايع سلطان الاطرش قائدا عاما لثورتها الكبرى :

انتشرت هزيمة جيش الاحتلال في موقعة المزرعة ، في عموم انحاء سورية ، بسرعة فائقة ، وعمت الافراح القطر العربي السوري باسره ، وخف زعماء التنظيمات السياسية وقادة الحركات الثورية المسلحة ، من مختلف المناطق الى جبل العرب ، يهنئون سلطان الاطرش بالنصر الذي أحرزه المجاهدون بقيادته ، الذي شارك فيه الثوار من مختلف انحاء سورية واختلطت دماؤهم على تراب جبل العرب من أجل تحقيق الهدف الاسمى بالوحدة والحرية .

كان في طليعة الوافدين الزعماء القياديون الذين قاموا بدور هام في حياة سورية السياسية في زمن النضال لتحرير الارض من نير الاستعمار ، نذكر منهم عبد الرحمن شهبندر ، وشكري القوتلي ، وهاشم الاتاسي ، وجميل مردم بك ، وفارس الخوري ، ونزيه المؤيد العظم ، وحسن الحكيم ، ونسيب البكري ، وتوفيق شامية ، ويحيى حياتي ، والامير عادل أرسلان ، وكثيرون كثيرون غيرهم ، بالاضافة الى قادة الثورات الذين وردت اسماؤهم في غير مكان من هذا العرض والذي أصبح جبل العرب مزارا لهم .

اغتنم القياديون السوريون اجتماعهم على أرض جبل العرب ، فقرروا تحويل الاجتماع الى مؤتمر وطني تداولوا من خلاله الاوضاع العامة في سورية ، وممارسات السلطات الفرنسية التعسفية التي تنم عن نيات مبيتة لفرض الاستعمار والتبعية على أرض سورية .

واتخذ المؤتمر بالاجماع المقررات التالية :

- متابعة النضال الى أن تتحرر الارض وتتحقق وحدة التراب السوري ويتم الجلاء الكامل .
- وضع استراتيجية الكفاح المسلح وتوحيده بين مختلف فصائل الثورة على أرض سورية، واتخاذ جبل العرب مركزا لرئاسة أركان الثورة .
- مبايعة سلطان باشا الاطرش قائدا عاما للثورة السورية الكبرى .

لم يأت القرار باتخاذ جبل العرب مركزا لرئاسة أركان الثورة السورية الكبرى اعتباطا ، وانما اعتمد أسبابا جوهرية روعي فيها موقع جبل العرب الحصين وطبيعة أرضه الجافة القاسية ، وصعوبة مسالكه ، واستذكر المؤتمرون الانتصارات التي أحرزها سكان جبل العرب في حقبة المائة سنة الماضية ، ١٨٢٠ —

١٩٢٠ ، ضد جيوش نظامية دفعها في الثلاثينات من القرن الماضي ، ابراهيم باشا المصري قاهر العثمانيين اربع مرات متتالية لاحتلال الجبل ، وضد حملات جرارة نظمها الاتراك عندما كانوا في أوج القوة ، عشرات المرات ، لبسط نفوذهم على جبل العرب .. وكان النصر دوما حليف جبل العرب ، وانكفأت الجيوش والحملات جميعها خائبة أمام صمود دروز جبل العرب .

أما الاجماع على اختيار سلطان الاطرش قائدا عاما للثورة السورية الكبرى ، فقد فرضه اجماع اهل الجبل على السير تحت لوائه ، والاعتراف برجاحة رأيه وبما يحمله من ارادة غلابة ، وايمانه الراسخ بالله ، واخلاصه للقضية القومية العربية .. وتذكر الجميع الدور الرئيسي الذي قام به سلطان الاطرش في تأسيس الدولة العربية في ٨ آذار ١٩٢٠ ، رغم تآمر المستعمرين على الدولة الوليد ووأدها وهي ما زالت في المهد .

٥ ـ النكسة والنزوح :

معركة المسيفرة

أبت كرامة فرنسا ، الدولة العظمى آنذاك ، ان تعترف بالهزيمة ، وصدرت التعليمات المشددة من باريس بحشد القوات لاخذ ثأر كارثة المزرعة ، ولكسر شوكة سلطان الاطرش وكل من يشد أزره على الارض السورية عامة ، وخصصت لهذه الغاية اعتمادات ضخمة ، وسيرت كميات كبيرة من الآليات والعتاد والذخيرة ، بحرا وجوا ، وعهدت بقيادة حملة الانتقام الى الجنرال غملان من كبار القادة العسكريين .

كانت خطة الجنرال غملان أن يهاجم جبل العرب من الغرب ، من سهول حوران ، وبذلك تلافي الخطأ الذي وقع فيه من سبقه من كبار القادة الفاتحين : جنرالات ابراهيم باشا المصري وقادة الحملات التركية بدخول الجبل عن طريقه الشرقي حيث الارض بركانية صخرية تملؤها الكهوف مما يجعل سير الآليات ضربا من المستحيل . وقع اختيار خبراء الجيش الفرنسي على المسيفرة في سهول حوران ، القريبة من السويداء غربا ، لتكون مركز حشد القوات المهاجمة ، وفي المسيفرة ومن حولها حفرت الخنادق ، واقيمت التحصينات ، وتم الاستعداد التام لجميع المفاجآت والطوارىء التي اتقن فرسان الدروز فنونها ، وحذر الخبراء من الوقوع بأشراكها مجددا . وتقرر وضع مفارز الخيالة من المتطوعين من وسط افريقيا وشمالها لمقاتلة الفرسان الدروز والالتحام معهم بالسلاح الابيض والاحتفاظ بالجنود الفرنسيين في المؤخرة .

وصلت أخبار الحملة الجديدة الى جبل العرب ، فهب المجاهدون لمجابهتها ، وباتوا على أحر من الجمر لدخول المعركة . وقرروا دخول المسيفرة تحت جنح الظلام ، وحددوا منتصف ليل ١٥ آب ١٩٢٥ موعدا لانطلاق جموعهم ، وكان هدفهم اختراق صفوف العدو وتوسطها باقصى سرعة ممكنة ، لاخذ زمام المبادهة والافادة من عنصر المباغتة .

أسقط المجاهدون من حسابهم ان العدو كان على اطلاع بتكتيكهم الحربية وقد اتخذ لمجابهتها كل الاحتياطات وبدقة متناهية .

أحس الجيش الفرنسي بقدوم الثوار في الموعد المضروب ، فأعلن النفير وكأنه على موعد معهم ، واصلاهم وابلا من رصاص البنادق والمدافع قصيرة المدى . والتحمت الجموع في معركة رهيبة دامية ، استمرت طوال الليل وحتى ساعات متأخرة من عصر اليوم التالي .

قاتل المجاهدون حتى نفذت ذخيرتهم ، ولم يتمكنوا من احراز التفوق على قوات الجيش الفرنسي التي جمعت من الذخيرة الحية اكداسا لا ينضب لها معين . وتبينوا في عصر اليوم التالي أن الاستمرار في القتال ضرب من العبث ، فقرروا الانسحاب من ساحة المعركة .

وعلى الرغم من الخسائر الفادحة التي انزلها الثوار بجيش الاعداء ، الا ان المراقبين اعتبروا معركة المسيفرة انتكاسة قاتلة بالنسبة للثوار في جبل العرب ، واجهاضا للثورة السورية الكبرى .

من نتائج النكسة :

سارعت قوات الاحتلال في أعقاب نكسة المسيفرة في جني ثمار ما اعتبرته نصرا على الثوار السوريين .

كانت قيادة الجيش الفرنسي على يقين بان جبل العرب هو قلب الثورة في سورية عامة ، وان اسكات صوت سلطان الاطرش القائد العام للثورة يعني اخماد جذوة الثورة ، وفتح أبواب البلاد السورية على مصراعيها أمام الاستعمار الفرنسي ينفذ عليها مآربه وطموحاته دون منازع .

صدرت الاوامر للقوات المعسكرة في المسيفرة بأن تتجه نحو السويداء ، وعهد الى الجنرال اندريا بقيادة الحملة لفتح جبل العرب كاملا وترويض الثوار بدون رحمة .

سقطت السويداء بيد القوات الفرنسية من جديد، ورفع الحصار عن الحامية الفرنسية في قلعة السويداء المضروب عليها منذ شهور ، وحاول الجنرال اندريا تنظيم الجهاز الاداري المحلي واشاعة الطمأنينة في نفوس الاهلين بقدر الامكان .

تجمع المجاهدون بعد سقوط السويداء في القرى المحيطة بها ، رساس وعرى والمجيمر ، وسيرت حامية السويداء حملات متتالية لاحتلال مواقع الثوار وضرب تجمعاتهم ، ووقعت معارك حامية الوطيس بين الفريقين تكبد فيها المهاجمون الفرنسيون خسائر كبيرة ، وفقد المجاهدون نخبة من القادة المشهود لهم بالشجاعة والحنكة ، كان من بينهم نسيب الاطرش الذي استشهد في معركة المجيمر وحمد عامر الذي استشهد في رساس .

وتابعت القوات الفرنسية حملات الاحتلال والترويض على طول جبل العرب وعرضه ، ووجهت الضربات دون هوادة للقضاء على المقاومة حيث وجدت واستعملت لهذه الغاية كل ما لديها من وسائل الفتك والتدمير ، المدافع بعيدة المدى ، والطائرات والآليات المختلفة ، تصب حممها على القرى ، فتشيع القتل والدمار ، وتوقف الاهلين عن السعي وراء رزقهم في زراعة الارض موردهم الوحيد لكسب القوت .

وتساقطت قرى الجبل بيد الغزاة الواحدة تلو الاخرى ، صلخد عاصمة الجنوب ، وشهبا عاصمة الشمال وسائر القرى في المرتفعات الشرقية وفي شمال جبل العرب وغربه .

النزوح الى خارج سورية :

أحس سلطان الاطرش بالظروف الحرجة التي تمر بها الثورة : انقطاع الامدادات من الاسلحة والمؤونة عن الثوار التي يستحيل بدونها الوقوف في وجه العدو، وميل الاهلين في المدن والارياف السورية الى العودة لديارهم ، والاستقرار فيها من أجل مزاولة العمل وكسب العيش وتأمين القوت اليومي .

تمت اتصالات بين القائد العام للثورة والقيادة السياسية في دمشق وحلب ، وارتئي أن تبتعد البقية الباقية من الثوار عن الارض السورية ، على أن يحملوا معهم روح الثورة والاصرار على المطالب السورية الثابتة بالحرية والاستقلال الناجز ، وجلاء القوات الاجنبية المحتلة التام .

في نهاية العام ١٩٢٦ نزح سلطان باشا الاطرش الى خارج سورية ، ترافقه قبضة خيرة من رفاق الجهاد ، من الجبل ومن مناطق سورية اخرى ومن لبنان ،وطلب اللجوء السياسي على أرض الاردن الشقيق والمملكة العربية السعودية ، فنزلوا أولا في واحة الازرق في الاردن ، وانتقلوا الى وادي (السرحان) الصحراوي في المملكة السعودية ، ومن ثم استقر بهم المقام في مدينة الكرك في الاردن .

ومرت احدى عشرة سنة ١٩٢٦–١٩٣٧ والمجاهدون يعانون في المنفى ، من ظروف قاسية ، بعيدين عن الوطن والاهل ، يعيشون مما تجود به الدول المضيفة من مساعدة ، ومن التبرعات الخفيفة التي يبعث بها ذوو النفوس الكريمة من السوريين العرب داخل سورية وفي المهجر .

العـــودة :

استمر المناضلون السوريون على الارض السورية بالمطالبة بجلاء قوات الاحتلال وبالاستقلال ، بالطرق الدبلوماسية العادية ، واعلنوا على الملأ أن مهادنتهم لسلطات الاحتلال لا يعني الرضوخ للامر الواقع والتنازل عن الحقوق القومية التاريخية المقدسة ، ملوحين بوجود القائد العام للثورة السورية الكبرى في المنفى رمزا

حيا لارادة الشعب الصلبة وللمطالب الثابتة بالوحدة والحرية .

واستجابت فرنسا لمطالب المناضلين السوريين العرب ، وعقدت مع القطر العربي السوري في باريس، معاهدة العام ١٩٣٦ ، التي اعترفت فرنسا بموجبها بحق الشعب العربي السوري بالوحدة والاستقلال ، كما نصت المعاهدة على عودة القائد العام ورفاقه من المنفى .

وفي تشرين الثاني ١٩٣٧ استقبلت دمشق سلطان باشا الاطرش ورفاقه المجاهدين استقبال الفاتحين واكتست حلة العيد ابتهاجا بالمناسبة السعيدة ، واحتشد عشرات الالوف من المواطنين العرب السوريين من مختلف انحاء سورية في محطة الحجاز في قلب دمشق حيث نزل سلطان الاطرش والمجاهدون من القطار القادم من الاردن ، ورفعت الجموع القائد العام للثورة السورية الكبرى على الاكتاف ، تقديرا لنضاله الطويل من أجل كرامة الشعب السوري وسيادته الكاملة على أرضه .

لم يلبث سلطان باشا الاطرش في دمشق طويلا .

في نهاية العام ١٩٣٧ عاد سلطان الى جبل العرب ، ليقضي بقية عمره في ضيعته « القرية » ، بين أهله وبني عشيرته ، تاركا ادارة دفة الحكم والاضطلاع بالمسؤوليات في أيد عربية سورية امينة .

ولم ينس السوريون ، والعرب عامة ، وجه سلطان المعبر الذي يحكي قصة نضال شعبي طويل واساطير بطولات خالدة ، وانما توافدوا على القرية بدون انقطاع ، يمثلون باحترام أمام القائد ويرفعون له آيات الحب والتقدير .

● جبر الاطرش ●

نص البلاغ رقم (١) الصادر عن القيادة العامة للجيوش السورية المتضمن الدعوة الى الجهاد في وجه الاحتلال الفرنسي

بلاغ رقم (١) — ٢٣ آب ١٩٢٥ —

« يا أحفاد العرب الامجاد !

« هذا يوم ينفع المجاهدون جهادهم ، والعاملين في في سبيل الحرية والاستقلال عملهم !

« هذا يوم انتفاضة الامم والشعوب !

« فلننهض من رقادنا ، ولنبدد ظلام التحكم الاجنبي عن أرض بلادنا وسمائها !

« لقد مر علينا عشرات السنين ونحن نجاهد في سبيل الحرية والاستقلال !

« فلنستأنف جهادنا الحق المشروع بالسيف بعد أن سكت القلم ، ولن يضيع حق وراءه مطالب !

« أيها السوريون !

« لقد اثبتت التجارب ان الحق يؤخذ ولا يعطى ! فلنأخذ حقنا بحد السيف ، ولنطلب الموت ، توهب لنا الحياة » .

سلطان الاطرش

القائد العام لجيوش الثورة الوطنية السورية

أدب المهجر
في ميزان النقد العادل
بقلم : زكي قنصل

ما يزال أدب المهجر يستثير اقلام الكتاب والنقاد ، ويغري عشاق الكلمة الانيقة الهادفة بالدرس والبحث والتحليل والتعليل . ومن الواجب أن نعترف بأنه لم يبق من بناة هذه الدولة الباذخة الشامخة وسدنتها الافئة مؤمنة صامدة تعد على اصابع اليد الواحدة ، حائرة هي الاخرى الى الغاية التي انتهى الرواد الاوائل

ومعلوم أن تيار الهجرة الى العالم الجديد قد انقطع منذ زمن ، فكل أمل بتجديد هذه الدولة او حقنها بدم جديد أو تطويل أجلها صائر الى ، وكل سعي الى اخفاق .

ولكن هل طويت آثار هذه الكوكبة من فرسان الفكر والادب بانطواء اجسامهم تحت أطباق الثرى ؟. هيهات ! فان اعلامهم ستظل حفاقة رفافة ، واسماءهم ستظل على كل شفة ولسان ما دام الادب غذاء للقلوب والارواح وشعلة تهتدي بلألائها الانسانية في متاهات الحياة .

وغني عن البيان ان ما كتب عن هذا الادب ـ بين تقدير واستخفاف ـ يشكل حيزا كبيرا في مكتبة النقد الادبي ، ولا نعلم بالتأكيد من هو الذي اطلق الرصاصة الاولى في هذا الاتجاه ، ولكن مما لا ريب فيه ان موسوعة « ادبنا وادباؤنا » للشاعر الخالد جورج صيدح يظل من أهم مراجع هذا الادب وابصرها بشوارده وأحفلها بجنوده وأوسعها شهرة ، لاسباب كثيرة لا مجال لذكرها ولا حاجة .

ولعل القارىء يوافقنا على ان ظاهرة الادب المهجري لا مثيل لها في تاريخ الادب قاطبة ، وقد لانذهب شططا اذا قلنا انها تفوق ظاهرة الادب الاندلسي وتمتاز عليه شكلا وجوهرا وهدفا . والدليل الذي لا يرقى اليه شك ولا تأويل هو أن ادب الاغتراب أثر بشكل بين في ما جاء بعده من أدب عربي وترك عليه بصماته الواضحة ، ولا كذلك أدب الاندلس . ونحن لا نريد بهذا الرأي ان نغض من شأن هذا الادب أو نقلل من قيمته ، ولكننا نعتقد انه لم يصل الى حد خلق مذهب واضح المعالم والسمات تقتفى آثاره وينسج على منواله كما هو حال الادب المهجري .

أثارت هذه الخواطر في الذهن سلسلة من الفصول

الادبية ينشرها الاديب البحاثة نعمان حرب في مجلة « الثقافة » الدمشقية حول هذه البقية من أدباء المهجر . والحق أن الكاتب الاديب لم يستوح في ما كتب الا ضميره وذوقه – وهو ذو حاسة ادبية سليمة – ولم يصدر الا عن ايمان راسخ بأن آثار هذه الحفنة التي ما تزال واقفة في وجه العاصفة تتحداها بشموخ وكبرياء أهل لان يقال فيها كلمة حق وانصاف تشجعها على المضي في طريق الجلجلة .

لقد عقد عن نبيه سلامة دراسة شائقة غاص فيها الى أعماق الشاعر وجلا خفاياها واستخرج ما فيها من لآلىء يعرضها فتنة للقلوب والعقول . وانا من الذين تربطهم بشاعر حمص المغترب روابط الزمالة والصداقة منذ زمن بعيد ، ولكني بعد هذه الدراسة اعترف ان قد تكشفت لي آفاق جديدة من عالم الشاعر وتعرت أمامي أسرار روحه وخوالج ضميره فصرت أقرب اليه وأخبر بما تنطوي عليه نفسه ،واعلم بمواطن الجودة والجمال في شعره . وهذا هو النقد البارع النزيه : يضع امامك اللوحة كما يرسمها الشاعر ثم يتناولها بالتفصيل والتشريح ثم يصف لك ما في دقائقها وجزئياتها من معان قد يتضح بعضها ويستغلق بعضها ، فاذا أنت امام كنز مرصود يمور بالالوان والظلال ويعبق بعبير الورد والبخور ، ما كان لك أن تقع عليه وتستمع بمجانيه لولا علاء الدين وفانوسه السحري .

ونبيه كما نعلم ، شاعر مطبوع فيه عذوبة وسلاسة ورونق ، ولا تحكم عليه بمنظومات تفرضها من حين الى حين مناسبة طارئة او يمليها ظرف عابر .

ثم يحدثنا نعمان حرب باسلوبه المترف الرشيق في حلقات تاليات عن آخرين من ادباء المهجر فتلمس في حديثه الدفء والحرارة وصفاء الروح وتشعر انه قرأهم قراءة المتأمل المستأني ، فهو يعرض عليك الدرر اللماعة ويختار لك النغم البديع الاخاذ . وقد طوف بحدائق توفيق بربر وحنا جاسر وفارس بطرس ونواف حردان وغيرهم ففاحت من أردانه روائح الشيح والعرار وانعش الارواح بما اقتطف من باقات تموج بانفاس الجنة .

وشاءت له شمائله ان يرفعني الى مصاف اعلام الشعر فاخجل تواضعي وسكب علي من أيات التقدير والثناء ما انوء بحمله . واشهد اني ما كنت أحلم بأن ناقدا سيضع شعري في هذه المرتبة ، ويخلع علي هذه البردة الفضفاضة ، وتمثلت بقول الشاعر :

وعين الرضا كل عين كليلة
كما ان عين السخط تبدي المساويا

وتلقيت وأنا أختم هذه الخاطرة عددا جديدا من مجلة الثقافة فوقعت فيه على افتتاحية رائعة لنعمان يبكي فيها الياس قنصل بدم قلبه جاء فيها :

.. ويا للنسر الذي حلق فوق الغيوم ، وعانق النجوم ، وأجله المقيمون والمغتربون .

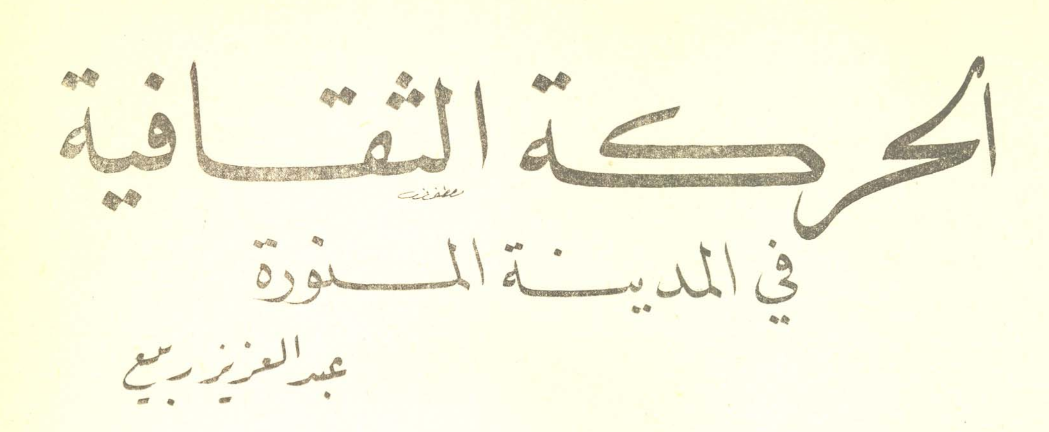
ويا للاعناق المتزاحمة ، تشرئب في رؤيتها للنسر وهو يحوم فوق قمم العروبة ، فيغمرها الايمان ، ويحدوها الامل ، ويشدها الهدير المتصاعد ، من وهج التحليق ، الى سطح الوجود ، ومنابت العز .

وها هو النسر المحلق ، ينقض على تربة العدم ، مهيض الجناح ، بعد أن غزا قلوب العرب ، ونفوس ابناء الضاد ، طيلة نصف قرن . وحفر اسمه في كل صدر وقلب ، ورجع شعره الصادح ، كل لسان وحنجرة .

« فيا لجرح التاريخ !
ويا لخسارة العروبة !
ويا لصدعة الشمس ! »

ان ما يبديه هذا الكاتب الاصيل العريق من آيات المحبة والوفاء لادب المهجر ولجنوده من احياء واموات شهادة ناصعة تضع هذا الادب في موضعه من الاحترام وتدمغ جباه الذين تنكروا له وانكروه واختلقوا له المساوىء والعيوب . فالى هذا القلم النبيل والى الزميل السخي الحمي مدحة عكاش صاحب« الثقافة» كل ما في قلوبنا من اعتراف بالجميل واعتزاز بهذه الصداقة التي تنزهت عن دواعي المصلحة وارتفعت عن دوافع الغرض الرخيص .

بونس آيرس — **زكي قنصل**



الحركة الثقافية في المدينة المنورة

عبدالعزيز ربيع

في المدينة المنورة حركة ثقافية متطـــورة تربط حاضرها المتألق بماضيها الزاهر وتراثها العريق وقــد عرفت المدينة المنورة منذ أقدم العصــور بابداعهــا الحضاري وأصالتها الفنيةوكانت لاتزال مصدر وحي والهام الكثير من المشاعر الروحية والانسانيةالعميقة. فلكثير من الاسرو الافرادالبارزين مكتبات حافلـــة تضم الالوف من الكتب النفيســة بالاضافةالى المكتبات الملحقة بالمدارس المخصصة لابناء الجاليات الاسلاميــة ويسميها اهل المدينة الاربطه وقد تم منذ سنواتضم بعض المكتبات الى مكتبة المدينة المنورة العامة بعد عدد من المحاولات بدأها فضيلـة الاستاذ السيد احمد يسن الخياري أول مدير لهذه المكتبة ومؤسس مكتبــة الحرم المدني وتمت في عهد خلفه سيادة الاستـــاذ جعفر فقيه . ويتجاوز عدد المكتبات الخاصة والعامـة بالمدينة مائة وخمسين مكتبة ولكن اهمها وأكبرها

١ ــ مكتبة عارف حكمة وتقع جنوبي المسجــد النبوي الشريف وقد قام بتأسيسها قبل حوالي مائة عام داود باشا والى المدينة المنورة لحساب شيخالاسلام بالدولة التركية الشيخ عارف حكمة وتحتوي علــى اكثر من اربعة الاف كتاب منها مجموعة كبيرة جدامن المخطوطات النادرة النفيسة .

٢ ــ مكتبة المدينة العامة وقد اسستها الدولـــة عند نهاية تكملة توسعة الحرم النبوي الشريف الاولى التي بدأت في عهد المغفور له الملك عبد العزيز آلسعود وقد انشئت جنوبي المسجد مع مبنى دار القضـــاء الشرعي وسكن فضيلة امام المسجد النبوي الشريف عام ١٣٧٨ هـ . وقد ضمت اليها المكتبه المحمودية التي أنشأها السلطان محمود خان داخل القسم الغربـــي الجنوبي من المسجد ومكتبة الحرم المدني التي انشأها السيد احمد الخياري في الجناح الشمالي منالمسجد منذ حوالي ثلاثين عاما وعدد من المكتبات الاخــرى التي هدمت مواقعها او نقلت الى المكتبة العامـــة او تبرع اصحابها كمكتبة الشيخ الختني الذي كان يعمل في تنظيم المكتبات العامة ثم أوقف مكتبتهعليهاقبل وفاتـــه .

٣ ــ مكتبة الملك عبد العزيز وقد وضع حجرهــا الاساسي جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبدالعزيز عند زيارته للمدينة في بداية عام٩٣ ويوشك العمــل على الانتهاء منهــا .

وتقع هذه المكتبه جنوب غربي ميدان المناخه فـي مواجهة امتداد شارع الساحة من الناحية الغربيــة وقد صممت على احدث النماذج المكتبيه في العالــم وزودت بكافةالمرافق والمنشآت الحديثة مع احتفاظها

بالطابع العربي الاصيل . وستكون مفخرة من مفاخرنا الحضارية لاهمية مكتبات المدينة من الناحية التاريخية ولما تحتويه من نفائس الكتب والمخطوطات .

٤ ـ مكتبة المصحف الشريف وقد اشرف على انشائها قبل ثلاثة اعوام سيادة السيد حبيب محمود احمد رئيس مجلس اوقاف المدينة ، في الجناح الغربي للمسجد النبوي الشريف وتحتوي على مجموعة ضخمة قيمة من المصاحف التي كتبت على انماط مختلفة واللوحات المنسقه باجمل الخطوط وأروع الاشكال وبعضها مكتوب بطريقة فريدة وبخط كبار السلاطين والحكام في العصور السالفة .

٥ ـ مكتبة السيد حبيب محمود احمد نائب رئيس المجلس الاداري وعضو مجلس الاوقاف الاعلى ورئيس مجلس الاوقاف بالمنطقة وتحتوي على بضعة الوف من الكتب معظمها في التفسير والحديث والتاريخ والثقافة العامة .

٦ ـ مكتبة عبد العزيز الربيع مدير التعليم بالمنطقة ورئيس النادي الادبي :

(اسرة الوادي المبارك) ورئيس نادي الانصار الرياضي وتحتوي على بضعة ألوف من الكتب ، في الدين واللغة والادب والثقافة العامة وشتى فنون المعرفة .

وقد انجبت المدينة المنورة خلال العصور ، كما كانت مهاجرا ومقرا للالوف من اعلام الفكر والادب والثقافة ممن حفلت بهم كتب السير والتراجم والتواريخ .. كما تضم في العصر الحاضر العشرات من هؤلاء الاعلام في شتى فنون العلم والمعرفة .. وبحسبنا ان نشير هنا الى سماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الاسلامية وهو من هو في علمه الواسع واحاطته الشاملة التي هيأته ليصبح مرجعا للفتوى وعلما من اكبر اعلام الاسلام والمسلمين كما هو الشان مع فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح امام المسجد النبوي الشريف ورئيس المحاكم الشرعية بمنطقة المدينة المنورة ومرجع علم الفتاوى من اعلام المدينة المنورة فضيلة الشيخ محمد الحافظ وفضيلة الشيخ عطية محمد سالم وهما قاضيان بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة وأديبان من ابرز ادبائها واكثرهم وعيا بالرسالة الادبية الحقيقية وكذلك فضيلة الاستاذ حماد الانصاري المدرس بالجامعة الاسلامية ومن كبار رجال الحديث وعلوم العربية ومن اعلام رجال الفكر والادب في المدينة سعادة الاستاذ السيد عبيد مدني وهو في طليعة الادباء والمؤرخين وسعادة الاستاذ امين مدني وله جولات واسعة في الادب والتاريخ . والشريف ابراهيم العياشي وهو من ابرز رجال التاريخ والآثار والاستاذ السيد محمد هاشم رشيد وهو في طليعة شعراء المملكة وكذلك الاستاذ حسن مصطفى صيرفي والاستاذ محمد العيد الخطراوي والاستاذ عبد الرحمن الشبل والاستاذ عبد الرحمن رفه وهم من ابرز شعراء المملكة والاستاذ عبد الرحيم ابو بكر وله اتجاهات في النقد والبحوث بالاضافة الى عدد كبير من رجال الادب والفكر في هذا البلد المعطاء الكريم الذي عرف من اقدم العصور بعراقته في الادب والفن وتحدث عنه احد كبار الادباء عند زيارته منذ قرون فقال انه قدم الى المدينة المنورة وليس من بيت من بيوتها الاوفيه شاعر .

ومن ادباء المدينة وشعرائها المعاصرين الاساتذة محمد حميدة ـ عبد العزيز ساب ـ سالم داغستاني حمزه قاسم ـ علي عمر قاضي ـ احمد فالح ـ اما ابرز رجال الصحافة فهم الاساتذة :

محمد صالح البليهشي ـ علي حسون ـ مروان عم رقصاص ـ محمد سعيد الصبحي ـ مالك ناصر درار .

هؤلاء هم بعض الادباء والشعراء والصحفيين الذين يعيشون في المدينة المنورة خلال هذه الفترة ولكننا سنلاحظ لو قمنا باستعراض سريع لاسماء ابرز ادباء ورجال الفكر بالمملكة خارج المدينة ان الكثير منهم انما هم من ابنائها .. ولدوا على ارضها ودرجوا على ثراها وغذت مواهبهم اجواؤها الشاعرية العبقة وبحسبنا ان نذكر منهم الاساتذة : محمد عمر توفيق ـ محمد فهد العيسى ـ ضياء الدين رجب ـ عزيز ضيا ـ محمد حسين زيدان ـ علي وعثمان حافظ ـ ياسين طه ـ غالب ابو الفرج ـ ماجد اسعد الحسيني ـ محمد امين عبد الله ـ محمد العامر الرميح ـ محمود المشهدي ـ عبد الرحمن صالح التونسي ـ عمر محمد كردي ـ حسين عسكري ـ محمد وهشام حافظ ـ الى عشرات غيرهم من كبار المسئولين ورجال الفكر ممن يضمهم

نادي اسرة الوادي المبارك الادبية او غيرها من الاندية الادبية في كبريات مدن المملكة .

نظرة الى المستقبل :

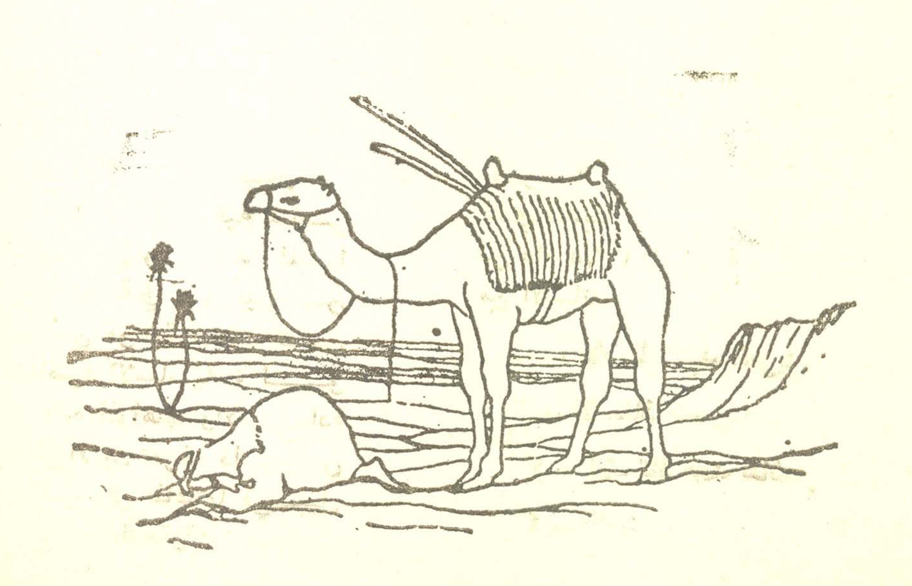
هذا هو وضع المدينة المنورة ومستواها الفكري والفني وهي تعتمد على مجهودات ابنائها الفردية فما هي ملامح المستقبل ياترى بعد الرعاية السابقة التي شملت بها الدولة ورجال الفكر والادب ؟

ان نظرة واحدة الى الاهداف التي تتطلع اليها الرئاسة العامة لرعاية الشباب بتوجيهات سمو الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز والدعم المادي الذي وافق على منحه للاندية الادبية وحضرة صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز والدعم المادي الذي وافق على منحه للاندية الادبية وحضرة صاحب السمو الملكي الامير فهد بن عبد العزيز المعظم والتكوين الجديد لهذه الاندية ، يجعلني اؤمن كل الايمان بان بلادنا ستعود ـ باذن الله مركز الثقل في العالم ، لا من الناحية المادية فحسب بل كقوة فكرية مبدعة تقود البشرية الى الطريق الخير والحق والسلام . بفضل الله تم بفضل ماتتمتع به رسالتها الاسلامية من عناصر ايجابيه صادقة استطاعت ان تقود العالم على هدي وبصيرة لفترة طويلة من الزمن وهي قادرة بحول الله وقوته على ان تضطلع بالدور نفسه وقد بدأت بالفعل الاضطلاع به منذ اسس هذه المملكة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله ثم انطلق بالمسيرة المظفرة المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله .. وهاهي الراية الخفاقة ترتفع وترتفع ، والموكب الظافر يتقدم بثقة وايمان مما يؤكد لنا أهمية الدور الذي تقوم به المملكة بقيادة عاهل هذه البلاد جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ايده الله .

ان افاق المستقبل تمتد امامي بكل اشراقها وسطوعها .. مؤكدة لي اننا قد عدنا الى مركز القيادة وان تضافرت الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية على طمس دورنا القيادي وابعاد بلادنا عن مسرح الاحداث فالمستقبل لنا :

لامتنا الاسلامية الواحدة وبمبادئنا القويمه الراشدة ورسالتنا العظيمة الخالدة .

عبد العزيز الربيع



لمحة موجزة

عن تاريخ نادي المدينة المنورة الأدبي

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه محمد بن عبد الله الذي قال (ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا) كلمة فضيلة قالها عليه الصلاة والسلام وهو في رحاب هذه البلدة الطيبة المدينة المنورة حيث نشأ الشعر وتهلل البيان حيث عاشت على هام العصور ، وهي تحمل راية الفصحى ، وترفع منار العلم وتفرد بأعذب الانغام والاناشيد .. الشعر وطيبة رضيعا لبان ، عاشا معا ، وانطلقا معا وسيظلان معا الى الابد ان شاء الله .

فلقد حدثت كتب التاريخ ان أحد أعلام البيان قال لقد جئت المدينة المنورة وما من بيت الا وفيه شاعر او شاعرة ولوحاولنا الاستقصاء في وقتنا هذا فاننا سنجد دون شك أكثر من موهبة في كل بيت من المدينة المنورة الشاعرة اكثر من موهبة تمتلك كل مقومات البيان الناضج وعناصره الاساسية ، لو أتيحت لها الفرصة لتربية هذه المواهب والاستفادة منها ، أكثر من موهبة لاتنتظر الا ان تعرف ذاتها ونص رسالتها وتعقد العزم على تفجير كل طاقاتها في سبيل الهدف الكبير الذي تضحي بكل شيء لتحقيقه وتجسيده. من هذا المنطلق كان لا بد من انشاء نادي المدينة المنورة الادبي لاستقطاب هذه الطاقات . ولم يكن نادي المدينة المنورة الادبي الاول في تاريخ المدينة المنورة الطويل ولكنه حلقة في سلسلة طويلة تذخر بالادب والفن والعطاء الصادق الجميل ..

ان نادي المدينة المنورة الادبي ليس الا امتدادا طبيعيا لاسرة الوادي المبارك لتي أنشئت قبل أكثر من عشرين عاما وقامت برسالتها رغم امكانياتها الضئيلة خير قيام كما ان اسرة الوادي المبارك لم تكن الاولى في الميدان فقد سبقها الى الوجود بسنوات قليلة جمعيتنا الحفل الادبي ونادي المحاضرات لجيل الرواد في أدبنا الحديث ولقد قام اولئك الرواد ببذل الجهود الصادقة في اثراء المكتبة الادبية بالصفحات المشرفة التي خطتها اقلا مهم ولقد أسهم في تأسيس نادي المدينة المنورة الادبي الذي انشىء في ١٥ شعبان من عام ١٣٩٥ هـ نخبة من الادباء وقد تألف أول مجلس من الاساتذة

١ ــ الاستاذ عبد العزيز الربيع

٢ ــ الاستاذ حسن مصطفى صيرفي

٣ ــ الاستاذ محمد هاشم رشيد

٤ ــ الاستاذ عبد الرحمن صالح الشبل

٥ ــ الاستاذ عبد الرحيم ابو بكر

٦ ــ الاستاذ محمد العيد الخطراوي

٧ ــ الاستاذ ناجي محمد حسن عبد القادر

أهم النشاطات التي يمارسها النادي :

١ ـ الاجتماعات الدورية لمجلس ادارة النادي وقد بلغت الجلسات العادية والطارئة (١٨٣) جلسة حتى انتهاء دورة المجلس السابق .

٢ ـ المحاضرات : وبلغت في مجموعها منذ انشاء النادي (٤٠) اربعين محاضرة ، للادباء والمفكرين المقيمين والزائرين .

٣ ـ الندوات: بلغت الندوات (٢٤) اربعا وعشرين ندوة نوقشت فيها موضوعات ادبية وعلمية قيمة .

٤ ـ الامسيات الشعرية : اقام النادي ثلاث عشرة أمسية قدم فيها نخبة ممتازة من الشعراء .

٥ ـ النشاط المسرحي :أقام النادي ثلاث حفلات حازت جميعها الاعجاب وحصل النادي على الميدالية الذهبية في أول حفل مسرحي اقامه على مستوى اندية المملكة .

٦ ـ التصوير السينمائي : قام النادي بتأمين جهاز فديوتيب لتصوير وتسجيل الحفلات والمحاضرات والندوات والانشطة المختلفة للنادي

٧ ـ الفنون التشكيلية: أقيم بالنادي اربعة معارض للفنون التشكيلية اشترك فيها الفنانون السعوديون منها ثلاثة بالاشتراك مع المكتب الرئسي لرعاية الشباب بالمدينة المنورة ووزعت الجوائز المالية والفنية على المشتركين في المجالات المختلفة .

٨ ـ المسابقات :

أ ـ اقام النادي مسابقة لتحفيظ القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك عام١٣٩٨هـ وفي شهر رمضان المبارك ١٣٩٩ هـ واخرها كانت في شهر رمضان المبارك عام١٤٠٠هـ وزعت جوائز على المتسابقين مالية في كل منها بلغت في الاولى (٥١٧٠٠) ريال وفي الثانية (٣٥٣٥٠) ريال وفي الثالثة (٨٢٠٠٠)ريال ويعتزم النادي اقامة هذه المسابقة سنويا

ب ـ أقام النادي مسابقة ثقافية في موضوعات الشعر والقصة القصيرة والبحوث الادبية وزعت فيها جوائز مالية على المتسابقين بلغت ٣٠٠٠٠ ثلاثين الف ريال

٩ ـ برنامج لقاء مع مسئول :

أ ـ الاول مع سعادة رئيس بلدية المدينة المنورة
ب ـ الثاني مع سعادة مدير شركة كهرباء المدينة المنورة .

جـ ـ الثالث مع سعادة مدير شرطة المدينة المنورة
تم في هذه اللقاءات الرد على أسئلة المواطنين في المجالات التي تهمهم .

نشاطات متنوعة :

١ ـ ينتهز النادي فرصة حضور الادباء والمفكرين من البلاد العربية والاسلامية لزيارة المدينة المنورة ويقوم بدعوتهم وتكريمهم وتقديمهم لجمهوره الكريم في أمسيات شعرية وندوات محاضرات ادبية وعلمية

٢ ـ الاحاديث الاذاعية : يقيم النادي ندوات اذاعية يتم تسجيلها بحضور المذيعين عن اذاعة المملكة واذاعة الدول العربية الاخرى في المناسبات المحلية .

٣ ـ أحاديث تلفزيونية اجرى تلفزيون المملكة العربية السعودية برنامجا خاصا عن الهجرة النبوية (مجالس الايمان) اشترك فيه أعضاء النادي

٤ ـ تم اختيار نادي المدينة المنورة الادبي لتمثيل المملكة العربية السعودية في زيارة دول الخليج العربي للتعرف على الادب في تلك المنطقة وعلى الادباء واعطاء فكرة شاملة عن تطور الادب في مملكتنا الحبيبة

٥ ـ تشجيع الطلبة على العمل في العطلة الصيفية لقاء مكافآت تشجيعية من النادي حفزا لهم على العمل واحترامه

٦ ـ اشترك النادي في معرض الرياض الدولي للكتاب بالرياض الذي اقامته عمادة شئون المكتبات بالرياض في شهر ربيع الثاني عام١٤٠٠هـ كما اشترك النادي في معرضين للكتاب العربي الذي اقيم بالكويت .

٧ ـ اشترك النادي لمنشوراته التي قام بطبعها في المعرض الثاني للكتاب الذي اقامته وزارة المعارف بالتعاون مع دار المريخ للطباعة والنشر بالرياض حيث تم عرض وبيع الكتب التي ارسلها النادي لدار المريخ لعرضها بالمعرض .

٨ ـ اهتم النادي باحياء التراث الادبي بالمدينة المنورة بتكريم رجاله الذين قدموا الكثير لخدمة الادب وطباعته مؤلفاتهم .

٩ ـ تحقيقات صحفية : اجريت صحيفة الجزيرة والمدينة تحقيقات صحفية مع سعادة رئيس النادي الاستاذ عبد العزيز الربيع حول الموضوعات الادبية والنقدية والتراث ونشر هذان التحقيقان في عدد الجزيرة رقم ٢٢٥١ الصادر بتاريخ ١٨ـ٩ـ١٣٩٨هـ وعدد المدينة المنورة رقم ٤٣٧٢ الصادر بتاريخ ١٣ـ٩ـ١٣٩٨ هـ

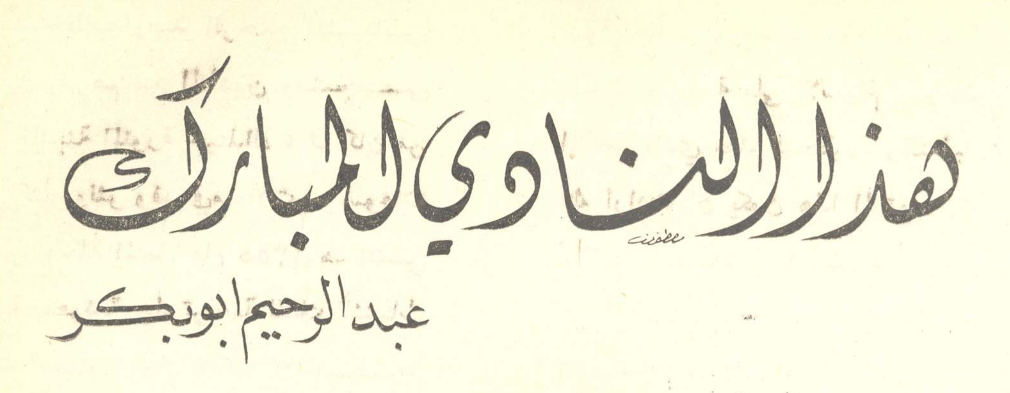
١٠ ـ تسجيل نشاط النادي : تدعيما للعمل الصادق الجاد الذي يقوم به نادي المدينة المنورة الادبي من الوان النشاطات المختلفة تقوم اجهزة الاعلام من اذاعة وتلفزيون ومؤسسات صحفية بالتعاون مع النادي بالاعلان عن المحاضرات والندوات والحفلات والامسيات التي يعدها النادي ويقوم التلفزيون بعرض الوان نشاط النادي المختلفة الادبية والفنية وتقوم الاذاعة بتخصيص فقرات من برامجها يقدم فيها اعضاء النادي الموضوعات والمحاضرات الادبية كما تقدم الصحف والمجلات الاسبوعية صورة عن بعض انشطة النادي ونشاط اعضائه .

أ ـ الكتب التي صدرت عن نادي المدينة المنورة الادبي :

١ ـ كتاب الشعر الحديث في الحجاز للاستاذ عبد الرحيم ابو بكر
٢ ـ كتاب ذكريات طفل وديع للاستاذ عبد العزيز الربيع
٣ ـ ديوان على دروب الشمس للاستاذ محمد هاشم رشيد
٤ ـ ديوان غناء الجرح للاستاذ محمد العيد الخطراوي
٥ ـ ديوان الفيصليات للاستاذ عبد الحميد الربيع
٦ ـ ديوان ترانيم العودة للاستاذين ناجي محمد حسن وفوزان الحجيلي
٧ ـ ديوان في ظلال السماء للاستاذ محمد هاشم رشيد
٨ ـ ديوان همسات في اذن الليل للاستاذ محمد العيد الخطراوي
٩ ـ ديوان على ضفاف العقيق للاستاذ محمد هاشم رشيد
١٠ ـ ديوان جرح الاباء للاستاذ احمد فرح عقيلان
١١ ـ كتاب شعراء من ارض عبقر ج١ للاستاذ محمد العيد الخطراوي
١٢ ـ كتاب شعراء من ارض عبقر ج٢ للاستاذ محمد العيد الخطراوي
١٣ ـ كتاب عن الحفل الثقافي لعام ١٣٩٦هـ اعلامي عن النادي
١٤ ـ كتاب رعاية الشباب في الاسلام للاستاذ عبد العزيز الربيع
١٥ ـ كتاب اضواء على حقائق للاستاذ محمد المجذوب
١٦ ـ بيت وشاعر للاستاذ خالد اليوسف

ب ـ كتب تحت الطبع :

١ ـ ديوان على اطلال الارم للاستاذ محمد هاشم رشيد
٢ ـ ديوان رسالة الى ليلى للاستاذ احمد فرح عقيلان
٣ ـ كتاب أشباح في غرفة العمليات للاستاذ ابراهيم العياشي
٤ ـ كتاب في رحاب الجهاز المقدس (غزوة بدر) للاستاذ ابراهيم العياشي
٥ ـ ديوان في موكب الضياء للشاعر الاستاذ ابو زيد ابراهيم سيد
٦ ـ كتاب الذرة بين الحرب والسلم للدكتور خالد علي كما خي
٧ ـ كتاب شروح الشعر الجاهلي (مجلدان) للدكتور احمد جمال العمري
٨ ـ كتاب مفهوم الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري للدكتور احمد جمال العمري
٩ ـ كتاب بطولات اسلامية للاستاذ علي عمر القاضي
١٠ ـ كتاب مسيرة عامين اعلامي عن النادي
١١ ـ محاضرات الموسم الثقافي لعام ٩٧ـ٩٨ عن النادي
١٢ ـ كتاب المقاييس التي وضعها النقاد والعرف لتقويم الصياغة في الاثر الادبي للاستاذ خالد اليوسف
١٣ ـ بحث عن حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العالم الاسلامي للاستاذ مسلم حموده الجهني



أما كون نادينا الادبي مباركا فليس في ذلك تمدح أو تزكية ولكنها وجهة نظر أملتها ملاحظتان، احداهما أن هذه الصفة كانت جزءا من الاسم الذي أطلق على النادي في مرحلة من مراحل تكوينه ، وثانيتهما أن هذه الصفة ربما كانت ملائمة او مطابقة بعض الشيء لناد أدبي في مدينة طيبة مباركة هي مهاجر أشرف الخلق ﷺ ومثواه ومأوى الدعوة الاسلامية في اول امرها ومنارها على مدى العصور ومن هنا كان اختيار تلك الصفة في هذا العنوان دليل التزام بواقع يعتز به كل من ينتمي الى طيبة الطيبة .

وأما التاريخ الحديث للنشاط الثقافي والادبي في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام وبلورته في منتدى خاص يقصده الصفوة من المثقفين والادباء من ابناء طيبة والوافدين اليها في المواسم المختلفة فلعلنا نستطيع أن نلاحظه ونرده في يسر الى مطالع هذا القرن الهجري الماضي حينما كانت بوادر نهضة أدبية حديثة تبشر بميلاد جديد لحركة شعرية متميزة على أيدي الشعراء الرواد في هذه المدينة المقدسة من أمثال عبد الجليل برادة وابراهيم الاسكوبي وأنور عشقي ، حيث استطاع هؤلاء الرواد ولداتهم وتلاميذهم بنشاطهم الادبي حينذاك أن يكونوا المعبر الحقيقي الى النهضة الادبية السعودية المعاصرة التي أتت أكلها وثمارها اليانعة منذ خمسينات هذا القرن بعد أن توافرت لها الامكانات المادية والمعنوية في ظل توحيد المملكة على يد صقر الجزيرة وباعث نهضتها الملك عبد العزيز رحمه الله .

وقد كانت من جملة روافد تلك النهضة الشعرية التي نشير اليها هنا ما كان يحرص عليه الشاعر الرائد عبد الجليل برادة من نشاط أدبي حفلت به تلك الندوات الادبية والثقافية التي كان يعقدها في بستانه يقول أحد مترجمي الشاعر البرادة عن ذلك « واتخذ هو وبعض علماء المدينة وأدبائها ندوة اسبوعية يعقدونها كل يوم ثلاثاء في بستانه وتحفل هذه الندوة بالصفوة المختارة من أقطاب الفضل والمعرفة من المدنيين وغير المدنيين ممن يرد من العلماء والادباء من الزوار الذين كانوا يدعونهم لتبادل الفوائد ووشج أواصر الصلة الثقافية » .

وخلف من بعد جيل البرادة شباب طموح نهض بعزم واصرار الى الحفاظ على استمرار النشاط الادبي ودوام عطائه وكان من آثار ذلك أن استأنف النشاط دوره هلال خمسينات القرن الهجري الماضي متمثلا في ناديين أدبيين هما (نادي المحاضرات) و (الحفل الادبي) وكان محور هذا النشاط بعض الشباب المثقف في تلك الفترة من أمثال عبد القدوس الانصاري وضياء الدين رجب وأمين مدني وعبيدمدني

وعبد الحميد عبر وعبد الحق نقشبندي واحمد ياسين الخياري ومحمد حسين زيدان وعلي حافظ وعثمان حافظ وعبد المجيد خطاب وعبد الرحمن الشيباني ومحمد عالم أفغاني وغيرهم من المتأدبين ومشجعي النهضة الفكرية في المدينة المنورة حينذاك ، ثم كان من آثار ذلك كله شعر كثير ونثر وفير في مجالات وموضوعات مختلفة ولعل صدور مجلة المنهل عام ١٣٥٥ هـ التي تعد أول مجلة أدبية سعودية جاء ترجمة لذلك النشاط الكبير الذي قام به أولئك الرواد ، كما أن صدور جريدة المدينة المنورة بعد مجلة المنهل بعام غير بعيد عن ذلك الروح الادبي الذي كان يشمل شباب طيبة ويوجهه حينذاك . ثم توالت السنون والحركة الادبية في مدينة الرسول ﷺ تراوح بين مد وجزر حتى قيض الله لها فئة من أدباء الجيل الثالث المعاصر كانت مشغوفة بالثقافة والانتاج الادبي شعره ونثره ، وقد استطاعت هذه الصفوة من المثقفين على مر الايام أن تؤلف بين جهودها وتوحد طموحها في تكوين أسرة ادبية هي (أسرة الوادي المبارك) التي ظل أعضاؤها من الشعراء والكتاب حراصا على أداء الرسالة الادبية ومتابعة النشاط الثقافي بالاجتماع كل يوم اثنين من كل اسبوع للقراءة والمناقشة واستعراض كل جديد ومفيد في شؤون الثقافة والفكر محاولين ترجمة هذا النشاط احيانا في مقالات وقصائد وبحوث الخ نشرت حينذاك في بعض الصحف المحلية ، ومهما يكن من أمر فان الدور الذي حرصت (أسرة الوادي المبارك) على القيام به في الحركة الادبية السعودية المعاصرة لم يكن قليل الجدوى أو مجهول التأثير ، فقد أشادت به بعض صحفنا المحلية حين لم تكن هذه الاسرة الادبية تملك الامكانات الكافية لترجمة أهدافها وتطلعاتها الثقافية ، ولعل صفحات الادب في صحفنا المحلية لم تكن تخلو في اعدادها من مقال أو قصيدة او بحث لعضو او اثنين من اعضاء أسرة الوادي المبارك وحين ظهرت الدعوة الى احياء سوق عكاظ وتجديد دوره العظيم كانت أسرة الوادي المبارك حريصة على الاسهام . وحضر بعض أعضائها المؤتمر الذي عقد للتخطيط والتنفيذ ، وكأن مشيئة الله أرادت أن يكون هذا المؤتمر الكبير الذي انعقد برئاسة سمو الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز سببا من أسباب تطور هذه الاسرة الادبية وتحولها الى أحد الاندية الادبية الستة التي أصبحت اليوم من معالم الحركة الادبية السعودية المعاصرة ، فقد أتيحت الفرصة في ذلك المؤتمر لان تحتضن الرئاسة العامة لرعاية الشباب الحركة الادبية وتتيح لها الامكانات المادية والمعنوية التي كانت تفتقدها الى حد ما وهكذا ولد نادي المدينة المنورة الادبي في عام ١٣٩٥ هـ بصدور موافقة سمو الرئيس العام لرعاية الشباب ضمن خطاب كريم موجه الى أعضاء النادي وجاء فيه : « يسرني أن ابلغكم موافقتنا على تسجيل ناديكم الادبي في المدينة المنورة سائلين المولى أن يكتب لكم وللنادي كل توفيق ونجاح » .

ومنذ هذا اليوم العظيم في تاريخ الحركة الادبية السعودية ونادي المدينة المنورة الادبي حريص وقائم على أن يترجم تلك الثقة الغالية والامانة والامل الى انتاج وجهد وعمل مستعينا بالامكانات المادية الكبيرة التي رفدته بها الرئاسة العامة لرعاية الشباب وكانت بذلك تضعه هو وبقية الاندية الادبية والحركة الثقافية بصفة عامة أمام مسؤوليات ضخمة لاثبات الوجود القوي الذي ترنو اليه الاجيال ومضى النادي باسهام اعضاءه ومشجعيه يعمل في إطار من الصمت والجهد وحرص على أن يكون نشاطه متعدد النواحي والاتجاهات

فمن محاضرات مسائية تلقى كل اثنين من كل اسبوع وفي كل ألوان الثقافة والمعرفة الى اقامة ندوات ثقافية داخل مبنى النادي الى احياء حفلات أدبية ذات برامج منوعة ومطعمة بألوان الفن والتمثيل والفكر والتراث الشعبي وغير ذلك ، وفي خلال هذا النشاط الايجابي حرص النادي على الاسهام في مجال النشر والاصدارات وكان انتاجه في هذا المجال الثقافي الحيوي مثار الترحيب والاشادة بل والاعجاب في الاوساط الادبية المحلية وقد يكون من الانصاف لهذا النادي أن نشير الى بعض اصداراته التي قام بها خلال هذه السنوات التي مضت على تأسيسه حتى الآن :

ففي مجال الانتاج الشعري أصدر النادي عدة دواوين شعرية لعدد من أعضائه كان من بينها (غناء الجرح) للاستاذ محمد العيد الخطراوي و (همسات في اذن الليل) له أيضا و (على دروب الشمس) للاستاذ محمد هاشم رشيد و (في ظلال السماء) له ايضا و (الفيصليات) للاستاذ عبد الحميد ربيع .

وفي مجال الترجمة الذاتية أصدر النادي (ذكريات طفل وديع) للاستاذ عبد العزيز الربيع .

وفي مجال الدراسة الادبية والبحث أصدر النادي كتاب (الشعر الحديث في الحجاز) لعبد الرحيم أبو بكر و (شعراء من أرض عبقر) للخطراوي .

وما زال النادي ماضيا في اصداراته الادبية المتنوعة جاعلا نصب عينيه تحقيق رسالته الثقافية واهدافه الفكرية حريصا على أن يكون معلما من معالم حركتنا الحضارية المعاصرة في المملكة العربية السعودية باذن الله .

وفي ختام هذه الكلمة لا يسعني وزملائي اعضاء نادي المدينة الادبي الا أن نوجه الشكر جزيلا الى الاستاذ مدحة عكاش على غيرته الادبية وحرصه الجميل اللذين دفعاه الى اصدار هذا الملف الخاص عن النادي والله ولي التوفيق والسداد .

عبد الرحيم ابو بكر



نظرات
في كتاب «ذكريات طفل وديع»

محمد المجذوب

شاء الله ان أعرف الاستاذ عبد العزيز الربيع قبل خمس عشرة سنة وكان ذلك أثناء موسم الحج . اذ قدمت المدينة الحبيبة زائرا مع أكثر من ستين مدرسا مدرسة من سورية ، الزمني خدمتهم صديق كان قد كلف امارتهم فضاق بهما ، وأبى الا ان يلقيها على كاهلي فكان علي ان أنهض بمسؤوليتهم ، مضافة الى اعبائي الباهظة في رعاية والدتي – رحمها الله – وزوجتي ، وهكذا وجب علي أن ابذل كل ممكن لتوفير راحتهم ولتأمين منازلهم في كل مكان تقتضيه رحلتهم ، وعن طريق موظف كريم في وزارة الحج استحصلنا على توصية بالحلول في مدارس المعارف بكل من المدينة المنورة ومكة المكرمة ومنى ، وبوساطة المغفور له الشيخ محمد نصيف صدر اذن سمو الامير فيصل – آنئذ – بالاعفاء التام من الرسوم المعهودة . فكان طبيعيا عند وصولنا المدينة ان نتصل بمدير التعليم فيها لتعيين المدرسة المناسبة ، وأختار لنا الفيصلية القريبة من باب السلام يومئذ .

لم يخطر في بالي قط أنني سأكتب عن هذا الرجل ذات يوم ، لذلك لم أركز اهتمامي على ما يجب أن اعرفه عنه ، ومع هذا فالشيء الذي لا يبرح ذاكرتي من ظروف ذلك اللقاء هو الادب العالي الذي استقبلنا به ، ثم ذلك المظهر المتميز الذي يخيل لرائيه ، أول وهلة انه لقاء واحد من ذوي الامزجة النازعة الى الاستعلاء. فهو على الرغم من (وداعته) التي تطالعك في تعابيره ونظراته ، شديد الاقتصاد في الكلام ، لا يكاد يتجاوز حدود الاجابة على الاسئلة الموجهة اليه في تركيز بين الاسباب والايجاز ، أضف الى ذلك مشيته التي تكاد تحصر بصره في الجهة المقابلة فلا التفات ولا تردد ، ما يثبت ذلك الظن الذي لا يمحوه من ذهنك الا تكرار لقائه ومعاودة الحديث اليه .

ويشاء الله أن يكرمني بالهجرة الى مأزر الايمان في السنة التالية لذلك التلاقي ، اذ جئت المدينة لاستقر كل هذه السنوات الاربع عشرة متعاقدا مع الجامعة الاسلامية ومتعاونا مع النادي الادبي الذي يتولى رئاسته هذا الصديق العزيز . وبذلك أتيح لي أن أعرف عن عبد العزيز الربيع ما كان يجب أن اعلمه لاكتب عنه .

انها صداقة اربع عشرة سنة متصلة كشفت لي من خصائص هذا الانسان عن كل ما من شأنه أن يملأ في تقديرا له ، ثم جاءني كتابه (ذكريات طفل وديع) فأقبلت عليه أقرؤه وحده حتى أتيت على آخره فاذا أنا معه في كتابه كما أنا معه في حديثه وفي صحبته لايعدو ذلك النموذج الذي رسمه هو على صفحات الكتاب المئتين والثمانين : وداعة في الخلق ، ورصانة في

السلوك ، وتشبثا بالقيم الفاضلة التي تشربها من بقايا التراث الخالد الذي تميز به مهبط الوحي ، ثم من البيت النبيل السعيد الذي فتح عينيه عليه بين والديه .

٢ – وأراني مشدودا الى خطوط تلك (الذكريات) التي يقول انه كتبها بطلب من جريدة (البلاد) وبملاحقة حادة من قبل صديقين لم يدعاه حتى فرغ منها بعد طويل من الوقت ، وبعد ان أشرفت على الضياع فكادت تنطوى الى غير رجعة .

ان قارىء هذا الكتاب لا بد خارج منه بصورتين يتعذر عليه ان ينساهما أما احداهما فمخطط دقيق التفاصيل الى حد بعيد لهذه (الدار) التي قرنها الله تبارك اسمه بالايمان منذ انزل في رعيلها الاول قوله الخالد : (والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ..) انه مخطط تتمازج فيه ألوان التاريخ والجغرافية والمشاعر .. ففيه ملامح الحياة التي عاشها الناس في هذا البلد الحبيب قبل الطفرة الجارفة التي لا تزال تخض وجودهم ، وتطغى على موازينهم ، فتباعد بين يومهم وأمسهم ، وفيه مصور يوشك أن ينسى من آثار الماضي القريب لاحيائه وأزقته ومساكنه وأسواقه وصداعاته ومنتزهاته وأنديته التي شرعت تتوارى خلف الاشكال الجديدة ، التي تبلغ أشدها هذه الايام ، حتى لتطمس على معالم تستعصي على الامحاء من أخيلة الزائرين لهذا الوطن الاثير ، فيوشكون الا يعرفوا مواضعها التي كانوا يعهدون الا على صفحات المؤلفات التي عنيت بتقصي هذه المعالم شبرا فشبرا وذراعا فذراعا كما يتقصى الداله آثار أحبابه .

وقد عرض كل من هذين الجانبين التاريخي والجغرافي ، لا من خلال الواقع وحده ، بل في مزيج من المشاعر المتوهجة التي تحدثك عن مدى تفاعل الكاتب مع كل دقيق وجليل من تلك الآثار الاثيرة ، حتى ليذكره براوية ابن الرومي الذي كان مر معه بمشهد وجداني ، قال لصاحبه ضع هذا في تامورك ..

تلك هي اللوحة الاولى من مضامين الكتاب . . أما ثانية الصورتين فهي التي تتطبع في مخيلة القارىء عن هذا الدليل (الوديع) الذي يأخذ بيده خلال هاتيك الرحلة المتعة من حياة الامس في ظل الربوع التي هي أحب الى كل مؤمن من مراتع طفولته ، ومسارح صباه وشبيبته .

٣ – أول ما يواجهك من هذا الكتاب بعد الاستفتاح الروحي تلك العبارة الصارخة (ما كرهت شيئا في حياتي كرهي للوداعة في هذا الطفل) ثم تأتي التفاتته الى ولده الذي يريده على التحرر من عدوى هذه الوداعة التي يعتبرها مرضا ، بل آفة طالما أكلت من روح أبيه وجسمه ، فتشعر وأنت تطالع هذه الكلمات بالنقمة تغلي في صدره من ذلك الطبع الذي يتمناه كثيرون من الذين حيل بينهم وبين ما يشتهون من هدوء الاعصاب الذي ينعم به المحظوظون من اصحاب الوداعة ، ولعلى أعبر عن كثيرين من قراء هذا الكتاب حين أردد على مسمع أبي أين قولة الحكيم الصيني « لي هتر »(١) لزواره من المعزين والمهنئين في مغارمه ومغانمه (وما أدراك انها سيئة .. تلك الطبيعة التي تخشاها على ولدك) ثم هل لك يا صديقي ان تكشف لنا عن ذات نفسك فتخبرنا : أي ضرب من الناس كنت تؤثر ان تكونه في معزل عن هذه الوداعة ؟. ثم لو قدر لك أن تجرد منها .. أكنت اليوم هذا الاديب الذي يعرفه القراء .؟ أو كان لك هذا الكتاب الذي نستمتع بصوره ، ونستأنس بذكرياته .؟

لقد رأينا مقابلتك بين عالم وتاجر ومصير الثاني منهما الى النجاح المادي الذي فتح له الطريق ، وفق تعبيرك الى عالم حافل بالسعادة والهناء والخير ، على حين وقف الحظ بالاول عند حدود الكتب والاوراق والمحابر .. وما اليها من الجهاد والعناء والبلاء فرحت تردد مع أبي محسد المتنبي :

ماذا لقيت من الدنيا .. وأعجبه
اني بما أنا شاك منه محسود

وكأني بك تحاول ايهام نفسك برجحان المال على العلم في ميزان العقل وطبيعي انك لم تفعل ذلك الا

---

(١) شخصية لتوفيق الحكيم ..

وأنت تحاول كذلك ان تتناسى تلك الحقيقة الضخمة التي لا تنفك شاهدة على الدهر ، بأن الهائمين بالمال هم المعذبون ، لانهم ابدا مشغولون عن قلوبهم بجيوبهم ، فما أن يبلغون منه أمنية حتى تجتذبهم الاخرى ، فهم كشارب الاجاج يريد ان يطفىء ظمأه فلا يزيده الا تلهبا .. ولو أنت أنعمت الفكر بما حولك وما نأى عنك ، لايقنت ان حب المال والركض خلفه والتحايل لاصطياده ، هي المنطلق الاكبر لمعظم هذا الشقاء الهائل الذي يتخبط في ظلماته أكداس البشر ، ولو رجعت الفكر كذلك في موضوع العلم وآثاره ، بعيدا عن ذلك التصور المرتجل لخففت من حنقك على حظك ، ولقطعت جازما بأن كل ما تبقى للبشرية من اسباب الطمأنينة والخير انما هو عائد الى اولئك الذين يحترفون ليضيئوا مسالك الآخرين ، ولو كلفهم ذلك معاناة الحرمان واضعافهم أبصارهم لتغذية بصائرهم . ومثلك لا ينسى التوجيه النبوي الحكيم القائل (رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره ..) فحسبك اذن ان تتذكر كل هذا أو بعضه لتقف الى جانب الشاعر الآخر مرددا معه :

(رضينا قسمة الجبار فينا .. ..)

٤ - وتتداخل الصورتان : صورة البيئة الحبيبة ، وصورة المحب الوفي ، في نماذج لا يقبل الانفصال ، كعنصري الماء ، لو عزل أي منهما عن الآخر لزالت عنه خاصته المائية .

انه يحدثنا عن طفولته ونشأته ودراسته ، فاذا هي جميعا جزء لا يتجزأ من معالم طيبة الغالية : المسجد المبارك (المحور الذي تدور عليه الحياة في المدينة) .

والاحياء المتعانقة من حوله الى ما وراء السور الذي يشرف على التلاشي وما جاوز هذه البقاع من شواهد التاريخ الذي ملأ ذكرها مقلدات الشعراء المتيمين ، ومصنفات البلغاء المؤرخين . فأولى مدارسه ذلك البيت الذي من خلاله أطل على الدنيا ، ولا يزال يشده اليه الحنين حتى ليود شراءه - لو استطاع ذلك سبيلا - ثم (مدرسة العلوم الشرعية) التي استعوذت على الكثيرين مشاعره ، اذ كانت البيئة الروحية التي تعهدت تكوينه العقلي والديني فربطت قلبه بكل مؤثراتها ، حتى هيكلها القديم الذي شد ما آسفة أن تناله يد التطور ، بلة شيوخها الذين يحتلون من ذاكرته المقام الاعلى ، بما عهد عندهم من الاخلاص للعلم والتفاني في رعاية طلبته ، حتى لايكتفوا بدروسهم المحددة في الفصول ، بل يضيفون اليها أخوات لها يجمعونهم عليها في أحضان المسجد المفضل وليس هذا فحسب بل ليعتبرون أنفسهم مسؤولين عن حراستهم من أسباب التعثر فهم يراقبون سلوكهم في المسجد ، ليدربوهم على التسامي بنشاطهم الفوار الى المستوى اللائق بطالب العلم ، ومن (فتوات) الشر فيلاحقون السفيه الذي يتعرض لهم خارج المدرسة حتى ينزلوا به القصاص الذي يحطم خيلاءه ويرد للتلاميذ البراء الآمن الذي يشعرهم بالكرامة فهم اذن بفضل هذه الرعاية جديرون بحب هؤلاء التلاميذ ، وحتى عقوباتهم الجسدية - التي كان حظه منها موفورا - لا يتردد في الحاقها بالمآثر الخيرة لاولئك المشايخ ، ما دام الباعث عليها هو ذلك التصميم على رفع مستوياتهم العقلية والخلقية ، وسوق المتهاونين منهم بالقوة الى مضاعفة العناية بحفظ كتاب الله .

وعلى هذا المنوال يمضي أبو أيمن في عرض ذكرياته عن ذلك العهد في اطار من التوهج الروحي الذي يموج بالوفاء والاضواء ، فلا تتمالك أن تشاركه في تقدير أولئك العاملين من بقايا الشيوخ ، الذين اسهموا في الحفاظ على تراث السلف الصالح من أصول التربية والتعليم ، وأخلاص العمل في تربية الاجيال .

وكم هي رائعة تلك الصورة الحية التي يرسمها لذلك (الجندي المجهول) الذي عاصر المدرسة منذ انشائها وبقي على الولاء لها ، لم يتغير على الرغم من التغيرات التي تناولت كل شيء .. انه (الحاج موسى) الفراش الذي يقدمه مثالا للمستخدمين الذين يندفعون لاداء واجبهم من داخل ذواتهم ، دونما كلل أو ملل ولا اقتصار على أوقات الدوام ..

والاستاذ الربيع عندما يسترسل في الحديث عن ذكريات مدرسته لا يقطع قارئه عن سائر معاهد التعليم الاخرى من المدينة ، وبخاصة تلك الكتاتيب

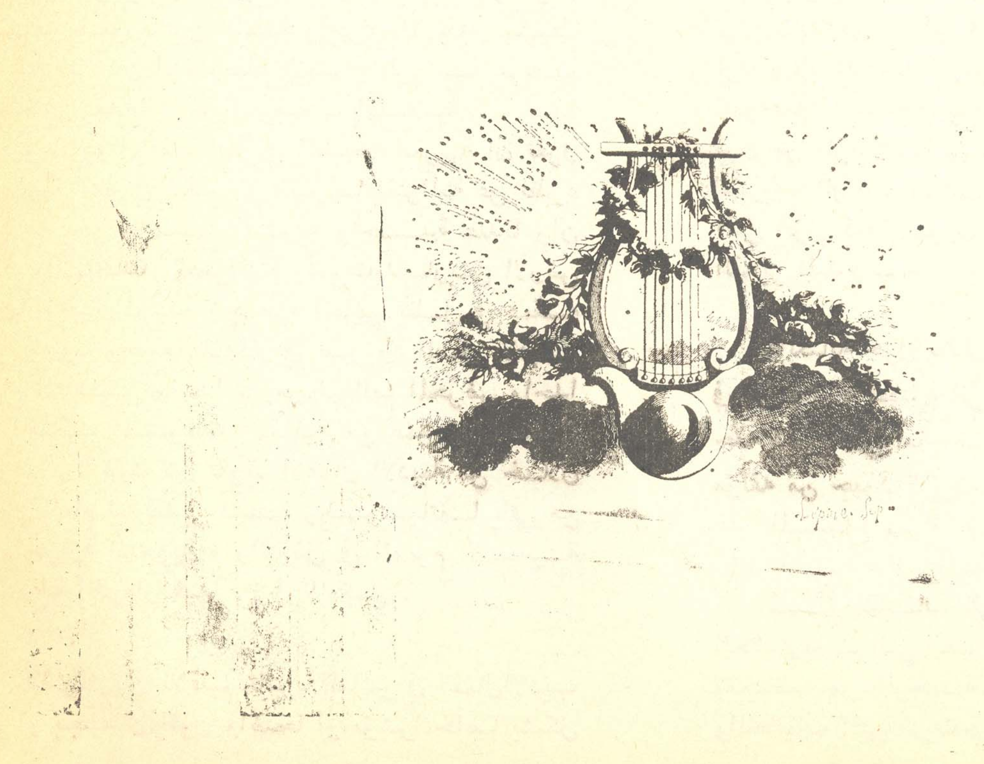
التي يحتفظ لها بأطيب الذكريات ، فهو على كونه لم يحظ بالدراسة قط في أي منها ، لا ينس فضلها وأثرها في النشىء المعاصر ، بل أنه ليجزم بأن (دورها في خدمة القرآن ولغته دور خالد ، وأن تجاهله ظلم صريح فيه كل العقوق والجحود ونكران الجميل ..) وبهذا اللون من التقدير الكبير يقص علينا ذلك النبأ العجيب عن تلميذ فقئت احدى عينيه (نتيجة لضربة باللوح من عريف أحد الكتاب) فأصر والده على الانتقام المؤدي السجن والديه على الاقل ، ولكن شيخا فاضلا قد أطفأ ثورته بمجرد تذكيره بحسن نية المدرس الجاني . وما يتوقع من دعائه عليه في ظلام الليل اذا هو قرر المضي في طريق الانتقام .. فما كان من هذا المنكوب الا أن اعلن وهو يبكي ، تنازله عن كريمة ولده لوجه الله .. ولا نتمالك نحن أن نردد مع الاستاذ الربيع تعقيبا على هذه المأثرة الكريمة قوله

(كم هم طيبون .. أولئك الناس ؟.)

وبهذه الروح المنصفة يعقب على احدى التمثيليات المدرسية وقد حاولت النيل من عمل الكتاتيب ، فجعل يذكر الحضور بفضل معلميها ، ومجهودهم العظيم في (تعليم الاطفال وفي تحفيظ كتاب الله ، وفي خدمة لغة القرآن ، حتى في أحلك العصور ، وأشد الظروف قسوة .

وأنعم به من تقدير ، يوجهه الى أولئك الابطال المغمورين خبير بشؤون التعليم ، مارسه وأشرف على أدارته ، وكتب غير قليل في قضاياه طوال العديد من السنين ..

محمد المجذوب



انطباعات :

« الشعر الحديث في الحجاز »

كتاب من تأليف الأستاذ عبد الرحيم أبو بكر

* اسماعيل عامود

ليس في الواقع المعاش ما يوحي أن الاقليم او المحيط أو الدائرة المناخية تفقد تأثيرها العام خارج البيئة المحلية التي تدور فيها الانتاجات الادبية أو تنبثق عنها .. بمعنى آخر ان ما يؤثر في مكان معين قد يؤثر في مكان آخر بطبيعة الحال الجغرافية والتاريخية وغير ذلك لان الانسان وتركيباته وهمومه لا يختلف شعوريا بين منطقة وأخرى الا بقدر بسيط وبخاصة اذا كان انتماء هذا الانسان الى أمة عريقة وموغلة في القدم كالامة العربية - الاسلامية .. لذا لا تجيز الاحوال المتشابهة في الطبيعة العربية ان تفرز عملا أدبيا انتج في اقليم من اقاليمنا المتوالية عن نظيره في اقليم آخر فالطبيعة البشرية واحدة عندنا وان اختلفت المناخات الجغرافية وتغيرت تضاريس الارض الا أن روحية المجتمع وجوهره العربي يظل في عمقه مؤثرا وملونا وجامعا للافكار في صيرورة العمل الادبي ما دام التأسيس واحدا ، ومن ثم الهم المحرض واحدا وان اختلفت المستويات الثقافية من عمق وارتفاع وهبوط .. ذلك لان تقويم الاعمال الادبية من خلال المنظور العام ثم تقدير قيمتها وخصوصياتها يأتي من خلال حرارة التجربة ، والتوغل في الهموم الانسانية الى درجة الذوبان فيها .. أو العكس .

هذا ولما كان للاقليم تأثيره المباشر في أعمال الاديب يبدو أو يجب ان يكون واضحا أو مؤشرا خاصا بشكل أو بآخر .. فان تناول اعمال ابنائه تحليلا ونقدا وعرضا يمكن ان يفيد الدارس أو الناقد في تحديد هوية تلك الاعمال بالمقدار المأمول أو الممكن .. في حدود البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ..! ولكن لا بد للمحيط العام بالنسبة للامة العربية ككل من أن يؤثر هو بدوره في أديبنا وفناننا ومفكرنا وهذا ما حدى بي للكتابة حول كتاب « الشعر الحديث في الحجاز » لمؤلفه الاستاذ عبد الرحيم ابو بكر .. وهو كتاب شامل للمرحلة الشعرية في بلاد الحجاز عبر أكثر من ربع قرن من الزمان الادبي الذي مر على هذا الاقليم الشريف الزاهر .. أرض النبوة المحمدية .. الارض التي أنزل فيها القرآن الكريم كتاب الله الواحد الغني القدير المبدع - جل جلاله -

والكتابة حول هذا المؤلف القيم « الشعر الحديث في الحجاز » تحتاج الى كثير من الصفحات لايفائه حقه .. لكنني أمام ضخامة هذا العمل وما صرف مؤلفه من جهود كبيرة له أرى أن الم عن محتوياته قدر المستطاع ..

قسم الكتاب الى أربعة أبواب / منها البيئة الحضارية - التي تضم - الحديث عن الحجاز ومجتمعه من الوجهة التركيبية ومراحل الاجناس والجاليات التي أثرت في تكوين طابع المنطقة وتطور

الكيان الحجازي وتأثير المفكرين وابعاد هذا التأثير والحياة العقلية من تعليم وثقافة .

وكذلك فقد عرض المؤلف في الباب الثاني الشعر العربي الحجازي في العهد العثماني ـ التركي وعدد شعراء هذا العهد .. ثم انتقل في الباب الثالث الى شعر عهد النهضة العربية وتيارات التقليد والمحافظة وصراعهما من أجل الافضل .. أما في الباب الرابع فقد خصصه للاتجاهات التجديدية .

ففي كل باب نرى جهدا ونلمس معاناة صادقة في ابراز الغاية المتوخاة من وضع هذا الكتاب فقد أراد مؤلفه أن يستقي معلوماته ويأخذ مواضيعه من واقع ما نشر ووزعته الدوريات والمنشورات في حينها مرة ، وما كتب حول الشعر الحجازي مرات أخر وفي فترات متفاوتة أي ان المؤلف أخذ مباشرة من واقع الحال ، وهذا ما يجعل قارىء الكتاب يقف أمام الموضوع وجها لوجه دون ظلال ، ولكن هذا النقل والاستشهادات التي ضمت الى صفحات الكتاب جاءت في محلها توثيقا وتأكيدا على واقعية الحركة والنمو الادبي والنهوض به .. اضافة الى أن اختيار نماذج حية لشعراء كل مرحلة يمكن أن يقارن بمستوى نظيره في الاقاليم العربية الاخرى وبخاصة في بدايات النهضة لكن ابداعه الفني كان مقصرا بحيث لم يكن يستطيع استيعاب الحركة الوافدة او لم يكن في ميل الى أن يتخطى حدود اقليمه .. لكن تضمين هذا الكتاب لبعض النماذج الشعرية منذ المرحلة الاولى لهتافات النهضة يمكن الاعتماد عليها في وضع تصور حقيقي للشعر الحجازي .. لكن دون ان ننسى تأثره بالبيئة وبالتالي تأثر الشعراء بالمحيط العربي الممتد من الاطلنطي الى خليج العرب .. كذلك فقد عانى الشعر الحجازي من الفقر في غذائه وفي جسده وشخصيته بسبب التخلف الذي كانت قد فرضته « العثمنة » الجاحدة بالحضارة المعذبة للعسكرية في حين كانت الشعوب الاوروبية تتحضر .. وتنشىء صناعاتها التي غزت العالم وملأته بالادوات في سبيل راحة الانسان وهنائه .

ان من يكتب مثل هذا الشعر في ابان مرحلته يدل بشكل أو بآخر على شاعرية عالية لا يمكن انكارها بل يجب التأمل بها لاستخلاص ما فيها من نبض :

دعتني دواعي البين ما اسطعت كبحها
أجبت وقلبي روعته رغائبه
طموح الى العليا ولو يمنزل
تباعد حتى ما تنال جوانبه
يزج بنفسي في الملمات قاحما
وليس ببالي فاز أم خاب ذاهبه
فيا ويلتا مما ألاقي على المدى
زمان عصى والفؤاد يحاربه(●)

(●) الابيات لشاعر رائد في الحجاز هو / عبد الوهاب آشي

ان كتاب ـ الشعر الحديث في الحجاز ـ هذا الذي اكتب حوله .. أدور وأدور ينتمي بالفعل الى مجموعة الكتب الجادة التي نحتاج اليها ، والمؤلف استطاع بـ (٢٤٥) صفحة من القطع القريب من الكبير أن يعطي المهتمين بالشعر العربي صورة جيدة واضحة لتطور الشعر الحجازي ومسيرته في موكب الزمن .. وبخاصة ما قدمه / من بواكير الرواد . اننا نجد وبوضوح ان الشعراء الحجازيين تأثروا وترادفوا خلف رواد عصر النهضة في جميع انتاجاتهم الشعرية .. مما يشير الى أن ثمة اهتمامات مستمرة لدى الشعراء العرب في جميع اقطارهم تتعلق وبوثائقية مخلصة بعضها ببعض وهذا ما يؤكد صعوبة فصل عمل شعري جاد ونهضوي أو تطوري في قطر عن غيره في قطر آخر ..

وربما يمكننا ان نعد الشعر في اقليم باسماء شعرائه لا بكيفيته وأبعاده الفنية لانها تكاد تكون عامة .

ان الشعر الحجازي يظل صاحب مكان في مجتمعنا الادبي وابناء الاسرة الواحدة ليس بالضرورة الطبيعية ـ أو التكوينية أن يكون أفرادها في طول واحد أو وزن واحد أو عرض واحد او بشرة واحدة .. بل قد يختلف الافراد بالشكل لكن الاصل واحد والجوهر واحد والروح واحدة وكذلك فشعرنا العربي في جميع أطراف البلاد له هم واحد وهو بالتالي يصدر عن شخص واحد الا وهو ـ العربي ـ

ـ وهكذا كانت جهود اولئك الشعراء المعاصرين في الحجاز تحاول أن تثبت بنماذجها المختلفة ان نشاطها الشعري سائر في طريق التطور والاسهام بقوة في حركة الشعر العربي المعاصر .. الكتاب ص ٢٤٦ ـ

والكتاب هذا ، كان المؤلف قد قدمه رسالة للماجستير في جامعة القاهرة ـ وكانت المناقشة في ١٦ رجب ١٣٩٣ هـ الموافق ١٥ اغسطس ١٩٧٣ م وهو من منشورات نادي المدينة المنورة الادبي .

● اسماعيل عامود

في ظلال السماء

عبد القادر الحصني

« في ظلال السماء » مجموعة شعرية انيقة تقع في مائة واربع واربعين صفحة من القطع الصغير ـ منشورات نادي المدينة المنورة الادبي عام ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م للشاعر محمد هاشم رشيد ، وهي المجموعة الشعرية الثالثة بعد « وراء السراب » و « على دروب الشمس » .

في هذه المجموعة يلتقي الحس النقي الناصع بأصالة اللغة العربية وطاقاتها الكامنة على أرضية تاريخية وعقيدية واضحة ومحددة الابعاد فيتفتح عمل شعري متميز بشكله ومضمونه .

ففي ظلال السماء يرسل الشاعر ابتهالاته المفعمة بالخشوع والصفاء عاطفة حب صادقة .. وفي ظلال السماء يجوب بنا الشاعر عوالم شعره الرائعة فاذا نحن « أمام البيت » وعلى « جبل النور » وفي طريق « النبع المقدس » ترنيمه الالهي في « صلاة » مشرقة أو « تسبيحة » أو « لحظة تجل » خاصة ..

وفي ظلال السماء يضعنا الشاعر محمد هاشم رشيد أمام التاريخ العربي الاسلامي وأمام انفسنا وجها لوجه فهو ينقلنا من أصداء موقعة بدر وأحد الى واقعنا الراهن في حداء مجروح فيه كل الاسى والرجاء. فنحن في صفحة من الديوان امة عزيزة بالله مرهوبة الجانب وفي صفحة امة ممزقة تتداعى عليها الامم وما بينهما ينساب روح الشاعر ينبوع لوعة وحب في وهاد محترقة الجنبات .. ففي صفحة :

بنينا صروح العلا .. والفخار
لكل أخ .. في جميع الديار
وسرنا معا في دروب النهار
بأكرم صوت .. واسمى شعار
براياتنا .. يستعز السلام ..

وفي صفحة :

فأخفض الرأس .. في ظل الشموخ أسى
والنار يسري لظاها في شراييني

لحاضر تافه .. نحيا به .. مزقا
وقد هزمنا .. على كل الميادين

وحين يختزل الشاعر الصفحة الثانية لمرارتها . (ربما) فانه يترك منها كلمة تثير حولها ما تثير من غصص الواقع كما فعل في ختام قصيدة « في بدر » حين يقول :

دنيا من الامجاد نحن
على رباها نلتقي
لنعيش في الأنغام المضيئة
في دروب المشرق
فتطلعي مثلي الى
وادي الفخار .. وأطرقي

هنا الصفحة الثانية مختزلة بالفعل « أطرقي » . أطرقي خجلا .. او اطرقي حزنا .. أو اطرقي تفكيرا .. أليست اطراقة كتلك التي أطرقها عمر أبو ريشة أمام الاندلسية ؟

وفي ظلال السماء يضعنا الشاعر في جواء قدسية وفي مناظر كونية تتعشقها النفس العربية .. يضعنا أمام نفحات الايمان وفي عالم من النخيل والشمس المشرقة والرمال الطاهرة .

أجل ! الانسان العربي يحب بفطرته الصحراء والنخيل والشمس المشرقة .. هذا قبل ان تتوازعه طرق الغربة عن نفسه .. الطرق التي تودي به الى أقاليم ذات مناخات موبوءة .. أقاليم ضبابية مستنقعية تسلبه فطرته ؟! وتسلبه ذاكرته فيصبح من ابناء المناخات والطقوس فتفسد أحاسيسه ويتنكر للصحراء وللنخيل وللشمس المحرقة .

* * *

أما الشكل الذي سكب الشاعر تجربته الشعرية فيه فهو النهج الذي اتبعته المدرسة الكلاسيكية المحدثة الذي يتميز بتعدد القوافي في القصيدة .. وبالانتقال من بحر الى آخر .. وبادخال ابداعات جديدة الى البيت الشعري في طريقة مشابهة لما اختطه الاندلسيون في اشعارهم وموشحاتهم .. يوضع هذا النهج الذي اتبعه الشاعر محمد هاشم رشيد هذان المقطعان المتدفقان جمالا وايحاء .. يقول في قصيدة « موطني الاخضر » :

وحدي أنا وحدي
وحدي
أمشي مع الوجد
وحدي

* * *

أمشي وفي قلبي
دنيا بلا أيام
والفجر في دربي
مثلي بلا أحلام
ودخلت في بستان
فتان
في ضفة الوادي
ناد

ويقول في قصيدته « في ظلال السماء » متنقلا من البحر المجتث الى البحر البسيط

بشراك يا قلب فاصدع
فاليوم يوم اللقاء

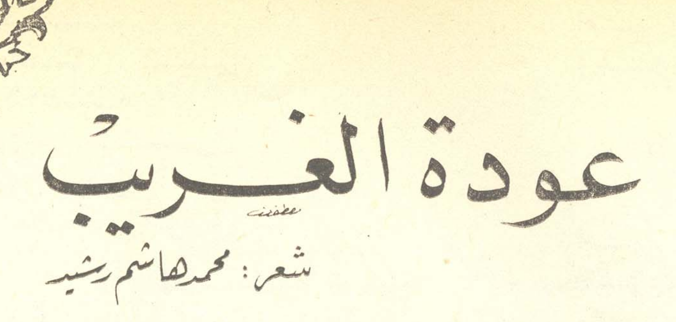
* * *

عجبت للحب كم عشنا على ظمأ
نهفو الى رشفة من نبعه الازلي

حقا .. ان الشاعر محمد هاشم رشيد كما قال عنه الاستاذ الكبير محمد المجذوب « انه شاعر من رأسه الى أخمص قدمه » .

وعلى الرغم من الدراسات الاكاديمية التي تصدت لدراسة هذا الشاعر كـ « التجديد الموسيقي في شعر محمد هاشم رشيد » للاستاذ عبد الرحيم أبو بكر و « الخيال في شعر محمد محمد هاشم رشيد » للاستاذ محمد عثمان صالح فان شاعرنا لا يزال مادة خصبة يجب تناولها بالتحليل والسبر فهو بحق من أهم الشعراء المجددين في المدرسة الكلاسيكية المحدثة في الوقت الحاضر .

● عبد القادر حصني



عاد الغريب اليك فاعتنقيه ... ودعيه يغفو .. في رؤى ماضيه
ويمد كفيه .. فيحتضن (النقا) ... ويعانق الحصباء في واديه
وينام ملء الجفن .. يغمره الشذا ... والحب .. بين رفاقه .. وبنيه
عاد الغريب الى ربوعك ظامئا ... والنار تلفح كل عرق فيه
لم يبق منه الشوق غير ذبالة ... ولهى تذوب على دروب التيه
عصفت بها هوج الرياح .. وومضها ... كادت غواشي الليل ان تطويه
فدعيه ينعم بالسلام .. وبالرضا ... فالحب يشعل ضوءه .. ويقيه
حتى اذا هدأت عواصف روحه ... وترقرق اللحن الحنون .. بفيه
فدعيه ينضو الستر .. عن خلجاته ... وكهوف صبوته .. وما تخفيه
ويجسد الاطياف .. في ترنيمة ... حرى .. يكاد شواظها يرديه
عاد الغريب الى الديار كما مضى ... من قبل .. يبحث عن أخ وشبيه
الغربة الكبرى .. تغلف قلبه ... وتقوده .. للدرب .. أو تثنيه
والكأس في كفيه مترعة بما ... يروى .. ولكن لم تعد ترويه
لله غربته وغربة روحه ... ما بين معشره .. وبين ذويه
القى العصا .. وعيونه مشدودة ... بسنى وراء الافق يستهويه
تتطلعان الى شعاع مبهم ... يرنو .. لبارقة .. ويستجديه
ويضل في الابعاد .. ابعاد الرؤى ... والوهم يبعده .. ويستدنيه
وعلى مدى كفيه .. تزدحم المنى ... تدعوه في شوق وتسترضيه
وتقول : حسبك غربة .. اني هنا ... فعلى م يجفو (المنحنى) شاديه
والغربة الكبرى .. اذا ماخامرت ... قلبا .. فكل الارض لا تؤويه
وجميع ألوان الجمال .. مظاهر ... لحقيقة .. مجهولة .. تسبيه
باركتها .. باركت غربتك التي ... شقت دروب الفجر .. عبر التيه

محمد هاشم رشيد




قبس من التاريخ

شعر: عبد الحميد الربيع

« من نبضات التاريخ في بدر دعوة للعرب
لينتزعوا نور مجدهم من ظلام العدوان » .

قبس من التاريخ شع أمامي — يهدي الى الدنيا سنا الالهام
عبر السنين مطهرا حتى بدا — بين العروبة وقدة الاقدام
فبدت تعبىء للحياة يقينها — حتى تضجر عزة الأسلام
ومشت تجمع شملها في قوة — لفتت قلوب الدهر بالاعظام
فاذا بآفاق الوجود مسابح — زخارة بكفاحنا المترامي
واذا بلاد الشرق تغدو شعلة — تمحو ظلام الدجل والاوهام
وتزيل من وهم الوجود مزاعما — عن شرقنا المتيقظ المقدام
ما كان هذا الشرق يوما مسرحا — للهو والشهوات والاحلام
بل كان للدهر المروع أمنه — أخذ السنا من فجره البسام
كان البناء سماحة وهداية — للكون تغمره بكل سلام
فاذا لواء الحق ينشر صفوه — والمجد يسطع في شبا الاقلام
واذا الارادة قوة وعقيدة — يشدو بعزتها فم الايام
ما كان للبانين أن يتخلفوا — تنفى البطولة سبة الاحجام

• • •



هذا ضياء شع في تاريخنا — من يوم بدر زاهي الاعلام
يهدي لنا ألق البطولة مثلما — يبدو ضياء الفجر في الأظلام
حيث الضياء يشب أقوى ثورة — في الارض بين الحق والاصنام
فالبغي يوقظ في الخواطر حقدها — والهدي يقتل حقدها بوئام
لن يقبل البغي العتيد وداعة — من شرعة دخلت الى الافهام
لغة السلام مع البغاة تقودهم — لضراوة التقتيل والاجرام
فغدوا كبركان تفجر باللظى — يرمي الحنيف بظلمه الهدام
لكن أضواء الحنيف بزحفها — عصفت بليل الشرك في احكام
هيهات أن يبقى الظلام مع السنا — يفنى الظلام مع الضياء السامي

• • •

فلقد غدا ركب الحضارة ناجيا — بالحق يعلو في أعز مقام
والحق كالزرع الكريم مكانه — في الخصب ينمو في قلوب كرام

• • •

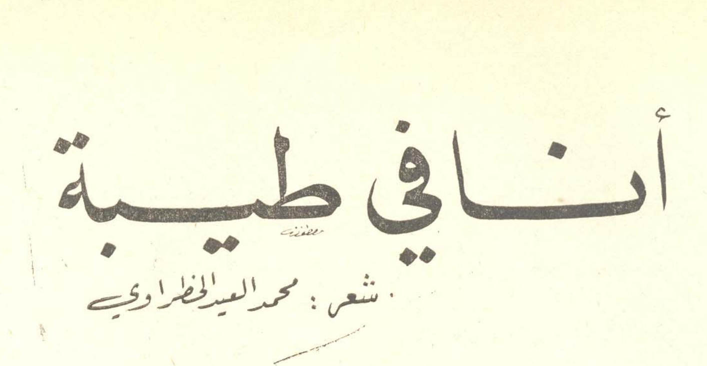
وبدا محمد يبتنيه بروحه — في كل روح بالهداية نام
أرسى بناء العدل بين أخوة — ربطت ببهجتها نهى الاقوام
وبدت تشع من المدينة هالة — يهفو لها من للحقيقة ظامي
جذبت لها الناجين من ليل الاسى — وجفا سناها السادر المتعامي

لكنها وهي الخلاص من الدجى — لن تترك السارين رهن ظلام
ما كان من حمل الدواء لقومه — أن يسلم الحمقى الى الاسقام
مرض العقول أشد فتكا بالورى — فهو الوفاء يثبر كل خصام
فاذا هو استعصى فليس لطبه — عند السلامة غير بشر الهام

• • •

تلك الخواطر قد بدت في يثرب — والعير تقبل من ربوع الشام
يهدي أبو سفيان وافر ربحها — لشباب مكة في حمى الازلام
لا بد من أمر يحول ما لها — نحو المدينة تحت كل جسام
ولقد تجمعت المشورة في النهى — بالعزم يسطع في خطا الاقدام
أخذت قريش مال من قد هاجروا — لم لا نرد المال في ارغام ؟
وتقابل الجيشان في وهج الوغى — والشرك يأخذ بالقوى بزمام
لكن ربك وهو حامي دينه — قد كان في جيش النبي الرامي
فتبدد الشرك العتي وقد غدت — أشلاؤه في البيد بعض حطام
وغدت تدوي في الوجود حقيقة — البغي يفنى في سنا الاسلام
هذي الحقيقة انني أشدو بها — للعرب توقظهم من الاحلام
حتى نرى علم الهداية ساطعا — في الكون يحدوه لكل سلام

عبد الحميد الربيع



أنا في طيبة

شعر : محمد العيد الخطراوي

أنا في طيبة أتيه على الدهر ... وأمشي على رؤوس الليالي
حاملا مشعل الفخار .. أغني ... بشموخ في موكب الآمال
هامتي في العلى تباهي الثريا ... ويدي تستبيح دنيا المحال
عن يميني الشموس تمضي نشاوى ... والبدور الوضاء حذو شمالي
وهرقل يسير من خلف كسرى ... عجبا من مهابتي وجلالي
يسألان الاعراب عن سر فخري ... وطموحي وحنكتي في المقال
فترد الأيام ! هذا فخور ... بتراث الرجال اثر الرجال
انه شاعر يمجد طه ... ويغني الرسول للاجيال
لا تلوماه ان تباهى وغنى ... في حمى طيبة لحون الجمال
انما الشعر يستطاب اذا ما ... جاء مستلهما دروب المعالي
يا طيوب الامجاد تعبق ذكرى ... لم يزل شأوها بعيد المنال
ايه ما أجمل الحديث عن الماضي ... وعن روعة العصور الخوالي
تتوالى الاحداث وهي عذارى ... وتمر الايام وهي حوال
قمم ترفض الفناء وساح ... تتأبى على صروف الليالي

• • •

أنا في طيبة وزهوي مزيج من طموح ، ومحمل للاماني

أتملى « الالهام » تفهق بالاوس وقلبي يضج بالعنفوان

ويناجي الاحلام عبر رحاب طوقتها بسرها « اللابتان »

فكأني من فرط زهوي مقيم في بني « جحجبا » على« الضحيان »

وكأني بالخزرج الصيد هبوا من ذرى « فارع » ومن « زيدان »

فهي آجامهم نمتهم ، فكانوا قدرا مصلتا على الاذعان

مرغت أنف تبع ويهوذا وأذلت جبيلة الغساني

فعليها من عزمهم لمحات ما وعى مثلها سجل الزمان

تأسر القلب « تستبيه » فواها لفؤاد موله بالمغاني

يا جمال الابطال تفترح الساح وتطوي الاقران بالاقران

والقنا تقرع القنا ، فصريع ووجيع ، وطالب للامان

والمواضي نواهل من جراح ثائرات على مسوح الهوان

حبذا الجرح ان تعطر بالعز وألوى بأضلع الطغيان

خير درب الى الخلود ، وقربى في الكفاح المضمخ الاردان

• • •

أنا في طيبة وقلبي شوق
وحنين لطلعة المختار

والروابي : متيم ، ومشوق
والنخيل الرشيق ذوب انتظار

وهتاف الترحيب يعلو صداه
لعنان السماء في استبشار

والسرى يملأ الطريق شموعا
ويسوق الاسعاد للانصار

طلع المصطفى ، فطيبة عرس
وغناء ، ومحفل للفخار

وبنات النجار يغزلن لحنا
عبقريا مدله الاوتار

من عبير الازهار .. من فتنة الفجر
من بهجة النجوم السواري

من قلوب هفت للقيا حبيب
ملأ الارض من كلام الباري

رددته الحرات وهي نشاوى
باللقاء الميمون .. في الاسحار

وتمطى « العقيق » يسأل « سلعا »
عن صدى اللحن في غناء القماري

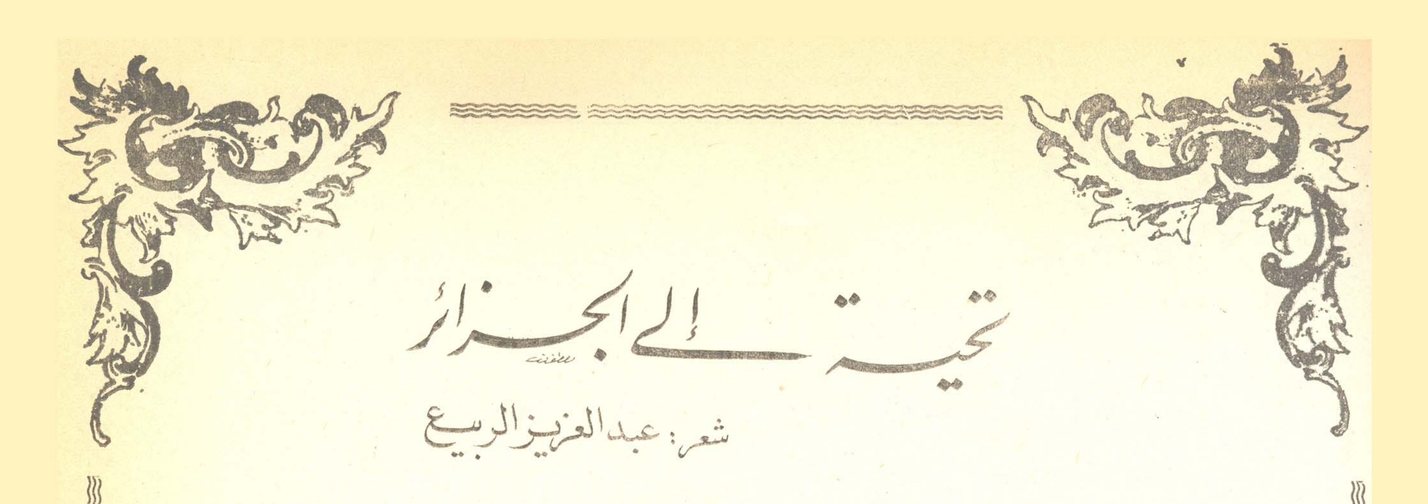
ما الذي حل في « قباء » ؟ وماذا
شع منها على الربى والحرار

انه أحمد يحل رباها
فتفيض الدروب بالسمار

يا بني » قيلة « أنيخوا المطايا
انه يومكم على الأعصار

وأطلوا على الدنى زمرات
تنقذ الكون من عذاب النار

محمد العيد الخطراوي



تحية إلى الجزائر

شعر: عبد العزيز الربيع

القصيدة العصماء التي ألقاها الاستاذ الكبير عبد العزيز الربيع في حفل الجزائر

حييت يا شعب الجزائـ ... ـر المجد للدنيا في لثائر
باع الحياة رخيصة ... وشرى المعالي والمفاخر
وعدا كنور الحق يصـ ... ـدع كل كافرة وكافر
يمشي بعزمة مؤمن ... بالله لا يخشى المخاطر
ليحرر الاوطان من ... ذل الاراقم والاصاغر
حييت يا شعب الجزائر ... حييت يا باني المآثر
حققت نصرا في الحيـ ... ـاة بلا شبيه أو مناظر
وبنيت أمجادا تعز ... على الاوائل والاواخر
سبع من الاعوام خا ... لدة كأقمار زواهر
حفلت بكل عظيمة ... حفلت على رغم المجازر
حييت يا شعب الجزائر ... حياك خالقك المناصر
حياك من يسري النفو ... س بجنة فيها البشائر
حياك يا من قد رفعـ ... ـت لواء دينك بالبواتر
وسخرت بالاقزام أقزام ... البطولة والمساخر
علمتهم معنى الفدا ... ء وكيف يشمخ من يغامر
ووقفت كالجبل الاشم ... يرد عادية الاعاصر
وسموت والاسلام يد ... فع أهله نحو المفاخر

لا يرتضي للمسلمين الذل ويح الحر من قاس وقاهر
العزة الكبرى لدين الله ينصر من يؤازر
يا خوة الاسلام تر بطنا بكم أقوى الاواصر
كرمتمونا بالكفاح المر في آت وحاضر
ورفعتموا رأس العروبة عاليا رغم العواثر
وكتبتموا بدمائكم صفحات المجد نواصر
ستظل تهدينا الطريـ ـق كالشموس والجواهر
يرعاكم الرحمن ناصركم وناصر من يناصر
جئنا لنهتف بالقلو ب وبالنفوس وبالحناجر
ونصوغ ألحان التهاني بالمعازف والمزاهر
بالنثر بالشعر المحبب بالصائف بالمنابر
عجزت جميع وسائل التعبير عن وصف للشاعر
مهلا رفاقي نحن في حلم من الاحلام زاهر
أم نحن في صحو الحقيقة هاتفين مع الجزائر
بالعزة الكبرى بمجد العرب يصرخ وهو زائر
بالمعجزات يصوغها شعب الاماجد والاكابر
أترى رفاقي زال ليل الظلم عن هذي الدساكر
وتكشفت شمس الحقيقة وانجلت تلك البصائر
وغدت بلاد العرب والاسلام مالكة المصائر
قولوا رفاقي ذاك حق ما ترى تلك البوادر

اظر الـى الابطـال قد ... دخلـوا الجزائـر كالقساور

حطمـوا رؤوس البغـي أحـ ... ـيوا ما أميت مـن الضمائر

طردوا الفرنسيـين أعـ ... ـداء الاسـلام الى المقابـر

ساقوهمـوا سـوق النعـ ... ـاج اذلـة حيرى أصـاغر

لم تغنهـم أحلافهـم ... ذات المـوارد والمصـادر

لـم تغنهم تلـك المدا ... فـع والبـوارج والبواخر

وجميـع أسلحة الفنـا ... ء تسـير أو تهـوى كطائـر

هـذا هو المجـد العظيم ... يشيـده الشعب المصابر

بالـروح بالآلام ينـ ... ـه بسيف الحق باتـر

ايـه فلسطـين الشهيـدة ... آن ان تثب الكواسـر

فتحت جزائرنـا الطـ ... ـريق بعـزم ابطـال مغاور

فلتسلكيـه ولا تنسـي ... فالعـرب كلهمـوا مؤازر

هـذا آوان السعـي والتـ ... ـاريخ يشهـد والمقـادر

انـا احتفلنـا اليـوم بالابط ... ـال في أرض الجزائـر

لتـرى سنحتفـل الغداة ... وقـد طردنـا كـل غـادر

في القـدس في مسـرى النبي ... بـكل ثائـرة وثائـرة

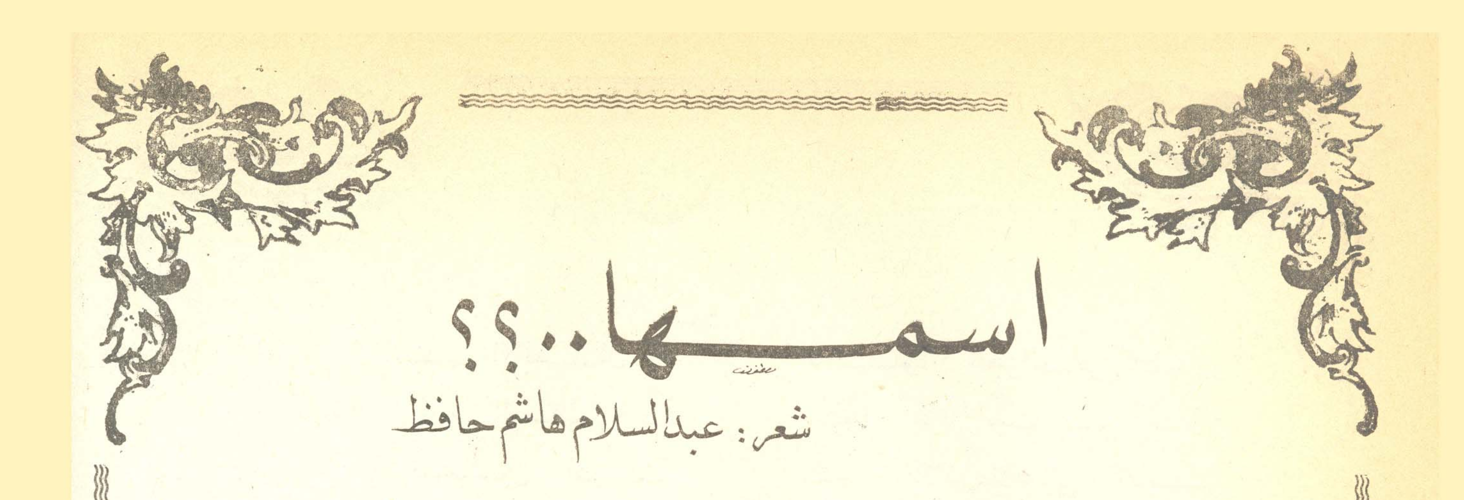
قامـوا بتحطيـم اليهـ ... ـود وكـل فجـرة وفاجر

قـد دنسـوا أرض القدا ... سـة بالصغائـر والكبائـر

وتعـود أرض القـد ... س للاسلام رائعـة المظاهر

أيـه فلسطـين الحبيبـة ... آن أن تثب الكواسـر

عبد العزيز الربيع



اسمها..؟؟

شعر: عبدالسلام هاشم حافظ

يطوف بكوني صباح مساء ... يجلجل في مسمعي بالنداء
عجبت له مستبدا حنونا ... يهوم قربي بأجلى ضياء

★ ★ ★

كروح الملاك يسير بدربي ... ويلمس فيّ الشعور ويصبي
كنسر يضم المخالب حولي ... ويعزلني عن مراحي وصحبي

★ ★ ★

اذا ما سلوت أتاني صداها ... يذكرنيها ويذكي هواها
وكنا افترقنا بغير وداع ... وحتى مجرد وهم نراها

★ ★ ★

فما لاسمها كلما ذاع أنحو ... بفكري الى الأمس ، بيدي وأمحو؟!
وفي كل ساعاتنا يحتوينا ... صداه المرن : اشعال وجرح

★ ★ ★

فما مر يوم ولا جاء عهد ... بغير هوى ذكريات يجد
ويقفز منها دليل الحياة ... بفاطم .. والقلب يشكو ويشدو

★ ★ ★

ففي كل حين أفاجأ منها ... من القوم صوت ينادي عليها
ويسرح ذهني لامسي البعيد ... لعهد هو العمر حن اليها





وفي كل صوت يدوي نداها وفي كل همس أحس شجاها
ففي اسمها الجاذبيات تزهو فليس يتم حديث سواها

★ ★ ★

عجبت لهذا المثال العجيب يجول بكل حديث رتيب
ففي اسمها السحر أم سر حبي هو المشعل المستضيء الخصيب ؟

★ ★ ★

هنا وهناك ينادون فطما وفي كل حي يسمون فطما
قريبات منا وجاراتنا بكل مكان يقولون : فطما

★ ★ ★

مربيتي في الطفولة دالت ممرضتي والطبيبة كانت
أرى كلهن فواطم حتى كأن اسمها فاطمى يوم جاءت

★ ★ ★

أجل قد فطمت ، على حبها — بتذكارها — عاش قلبي لها
أسحر تملكني يا صحابي وقد شاب شعري على دربها

★ ★ ★

دنوت من الاربعين وحبي لها في الخيال يشب بجنبي
اذا ما تغزلت في غيرها فاني بها أستمد وحسبي

★ ★ ★

وان لم يكن لي منها سواه : سوى اسمها أرجو أرجو نداه
ولم يسبق لي غير همسي به ولوعات شوق ، ووهمي سقاه
أجل ياسمها العذب أرهقت قلبي

عبد السلام هاشم حافظ

قراءة لقصائد العدد الخاص

بقلم : عبد الله احمد ابو راشد

... واخيرا صدر العدد الاول لهذا العام - ١٩٨١ - من مجلة الثقافة الشهرية - كانون - شباط - والذي يحوي على عدد خاص بالنتاج الادبي الحديث في مدينة حلب ، ويضم فيضا زاخـرا بالمعطيات ، وصنوفا أدبية متنوعة ، والتي تساهم بشكل ما أو بآخر في خدمة الادب والثقافة في القطر العربي السوري ، وتكـون رافدا للعطاء الدفوق ، فكانت القصة - القصيدة - الدراسة - الموضوعات الكثيرة التي تمثل بمجملها ذخرا للادب والثقافـة ، وسأكتفي بقراءة قصائد ذلك العدد فقط ، والبالغ عددها تسعة عشر قصيدة لاسماء أدبية متعددة ، وهنا لا بد لي من التنويـه بأن جملة القصائد المنشورة تنخرط في اتجاهين ومنهجين أدبيين ، الاول منها تحت اطار الشعر التقليدي القديم ، بينما الثاني يقع ضمن اطار المذاهب الادبية الحديثة للشعر - الشعر الحر - ولا بد من دراسة كل نوع على حدة،وذلك أسلم للغةوللشعروللادب.

١ - قصائد الازوان التقليدية للشعر القديم

يبلغ عددها ثمان قصائد وهي حلب - عبد الله يوركي حلاق ، فرح - عمر ابو قوس ، أبيات منسية علي الزيبق ، اللقاء - د . محمد أنور الزعيم ، هـي الدنيا - م . هلال فخرو ، كرسي الاعتراف - فوزي الرفاعي ، فاتنة - لاتنتمي - محمد ظريف صباغ ، رحلة الى بحيرة العطر ممدوح مولود .

وسأتناول دراستها من ثلاثة جوانب :

ا - الموضوع .

ب - الهيكل والاسلوب .

جـ - الوزن والعروض .

أ - الموضوع :

من يتصفح القصائد ويتمعن في مضامينها سيجد بينها قواسم مشتركة ومتشابهة الى حد ما ، ولكن اسلوب صياغتها تختلف بين شاعر وآخر ، وهـذه القواسم تبرز بوضوح في سياق القصائد ، فهـي في أغلبها تنضوي تحت المنهج والمدرسة الاتباعية في الشعر فنجد مواضيعها تزخر بذلك فمحاكات الطبيعة والتـذكر والذكريات ، والتأمل والوجدانيـات تكـون السمة الغالبـة في مواضيع القصائد ، وتأتي نتيجة معاناة خاصة وتجارب ذاتية لهذا الشاعر او ذاك فأغلبها ان لم اقل كلها تغص بالذاتيـة وتلبس ردائها ، وبعضها تعالج مواضيع انسانية عامة عابرة ، واستعراض بعض النماذج يؤكد ذلك ، ففي قصيـدة (حلب -) التي تأخذ من حلب مرتكزا وموضوعـا لوصف انطباعات ناظمها الذي يتحدث عن مآثرها بقوله :

حلب مقـر النابغـين ... يشع في الدنيا سناها

رقت شمائـل أهلهـا ... فسرت نسيما في رباها

بينما يتخذ (عمر أبو قوس فرع) من الفرح والمحبة والاخاء مادة لعرض فكرته بقوله :

ولا عـداء ولا حقـدا ولا حسدا

ولا يهودا ولا تركـا ولا عربـا

الا صفاء وذوبـا في الوجود كمـا

يعود للكأس ما قد اطلعت حببا

ويكون التغني بالايام السالفة واسترجاع الذكريات مادة جيدة لطرح الموضوع لدى (علي الزيبق - ابيات منسية) ومن طيف الحبيبة أسلوب كقوله :

أشـرب مـن آهـك أالغنيـة

تنضج دربا مبحـرا في المدى

أغوص في عريـك ، في قبلـة

تحمل لي فجـر بلادي غـدا

ويقاسم الشاعر (د . محمد انور الزعيم) سابقه في قصيدته اللقاء الذكرى والتذكر ، وتشكل توارد المرئيات والذكريات مادة لديه للمعالجة كقوله
والتقينا ... والتقت كف بكف ... وتبادلنا السلاما
وافترقنا ... وأنا اسبح في نشوة روحي مستهاما

بينما تتميز (هي الدنيا — م . هلال فخرو) بموضوعها الفلسفي عن سابقتها ، فيكون التأمل والاستغراق مسيطرا على مادة القصيدة كقوله :

هي الدنيا وأحياها   من الاصباح للممسى
تسيل أظافري دمعا   لطفل لا يرى الشمسا

ويطالعنا الشاعر (فوزي الرفاعي — كرسي الاعتراف) على قضية خاصة جدا ، يخاطب بها زوجته مذكرا اياها مدليا باعترافاته كقوله :

ألقيت بين يديك كل سهامي
والى هواك قد انتهت أحلامي

والآن هاك يدي تمد على الوفا
في الحب والاخلاص أيامي

بينما يقدم (محمد ظريف صباغ) بطاقتين جميلتين — فاتنة — لا تنتمي — اللتين اتخذتا من التغني بالحبيب مادة لطرح الموضوع كقوله في الاولى :

أسأل النجم عنك ما لاح نجم
ويهيم الفتون والاسماء

والثانية يقول فيها :

لا تنتمي زهر البنفسـ   ـج ضل لا يدرى مزاره

وتأخذ قصيدة (رحلة الى بحيرة العطر — ممدوح مولود) من الجمال والتغني به مادة لمعالجة فكرتها كقوله في مطلعها :

قد أينعت كرمة الرمان وامتلأت
جنى شهيا وطاب الكأس والوتر
حان القطاف ، وما أشهى الكروم اذا
ما راح منها رحيق الخمر ينهمر

ب — الهيكل والاسلوب :

لقد أحسن الشعراء كافة في معالجة مواضيعهم وأفكار قصائدهم ، ولمسنا من خلال استعراضنا لها مقدرتهم ، وتمكنهم من امتلاك الاصالة والادوات الفنية للشعر ، ونلمس هذا واضحا في عموم القصائد ، ففي قصيدة (حلب) نرى براعة الشاعر في الدخول في فحوى القصيدة وطريقة سرد افكاره المتسلسلة والفاظه الواضحة التي سارت الى غايتها برتابة وكانت غنية بالصور والمرئيات كقوله

جثم الجلال على رباها   والتبر لألأ في ثراها
والحسن صافح أهلها   وبثوبه الزاهي كساها

والحال ذاتها نجده في قصيدة (فرح) التي تدفقت عباراتها رقة وعذوبة :

ينتابني فرح فيغمرني
حينا فحينا ولا أدري له سببا

أكاد من خفة فيه ومن مرح
أطير في الجو حتى أبلغ الشهبا

وتكون الالفاظ قوية متماسكة مترابطة تسير الى غايتها للوصول للحقيقة في قصيدة (أبيات منسية) وتكون نهايتها :

عرفتك ... من خزف أنت ، من
زخارف ، من مخمل عاهر

وتزخر قصيدة (اللقاء) بالمعاني والتمنيات وبالايام الماضيات ، وأحسن ناظمها في طرح معاناته ليضع في نهايتها حدا لتساؤلاته الكثيرة بقوله :
ليت شعري ... وأنا اليوم مع الشوق أقاسيه ضراما
أترى كان تلاقينا مناما ...

وتنفرد قصيدة (هي الدنيا) بطرح مضامين فلسفية وتأملية ، وكانت رمزيتها واضحة غير مبهمة، متسلسلة التراكيب والالفاظ لتكون البداية مكررة ذاتها في نهاية القصيدة كقوله :

هي الدنيا وأحياها   من الاصباح للممسى

وتخاطب قصيدة (كرسي الاعتراف) كما سبق وذكرت ، زوجة ناظمها وتحدثنا عن تجربة ذاتية ، واستطاع الشاعر بحسه المرهف ان يطرح اعترافاته تباعا في جمل وتراكيب بسيطة وتلبس من ثوب الماضي والتذكر ردائها ، وتزخر بالحقيقة والاعتراف وتكون نهايتها :

هذا فؤادي آب بعد تشرد
أسلمته لك ، فامسكي بزمامي
ودعي فؤادك مطمئنا هائنا
وعلى متين من وثوقك نامي

وتحدثنا قصيدتا (فاتنة – لا تنتمي) عن الحب والغزل بحسب رؤية ناظمها ، ففي الاولى يتحدث عن مفاتن وجمال الحبيبة ، وكانت مليئة بالاحاسيس والعذوبة ، انسيابية غنية بالرقة ، سهلة واضحة المضامين يقول في مطلعها

رقص القلب للحبيب وغنى
فاذا الكون نسمة عذراء
تاه عقل الجمال حين تهادت
وتغنت من سكرها الاحناء

بينما كانت الثانية توصية سريعة أراد بها الايجاز للوصول الى مبتغاه بسرعة ، دون ابطاء خوفا منه عليها ، ويقول فيها :

نجواي ضاعت هل يرا م لها رجوع واستداره
قالوا بروضك ينتشي حب ، فهل تغني الاشارة

وتنهي قصيدة (رحلة الى بحيرة العطر) هذا القسم بغزلية متميزة ، فيها بعض الجنوح والمجون في طريقة معالجة موضوعها وأفكارها ، فكانت مفعمة بالصور والتشابيه ، مليئة بالتغني بالجسد وجماله ، وبالوصف الدقيق لمفاتنه وروعة تكوينه ، فكانت سمفونية غزلية متميزة ، سارت الى فكرتها بقوة ووضوح ومما جاء فيها :

طاب القطاف ، وما أشهى الكروم اذا
ما راحت الخمر كالشلال تنهمر
أشهى العناقيد القى اليوم يانعة
كأنها الموسم الموعود تنتظر

٥ – الوزن والعروض :

لقد اجمعت القصائد على وحدة القوافي لابيات القصائد كل على حدة ، وأخفق بعض الشعراء في اختيار الاوزان النقية من الخبن والزحاف ، بينما نجح بعضهم فيها ، وتقاسمت قصيدتا (فرح – رحلة الى بحيرة العطر) العروض فجاءت على وزن البحر البسيط ، بينما اختلف في بقية القصائد فكانت قصائد (حلب – أبيات منسية – اللقاء) مليئة بالخبن والزحاف ، وأتت قصيدة (هي الدنيا) على وزن بحر الهزج ، وقصيدة (كرسي الاعتراف) على وزن بحر الرجز ، وقصيدة (فاتنة) على وزن بحر الخفيف ، و (لا تنتمي) على وزن بحر مجزوء الكامل لتكون هذه الاوزان جرسا وايقاعا موسيقيا جميلا لدى سامعها ولتكمل بناء القصيدة .

٢ – قصائد الشعر الحديث (الحر – التفعيلة) :

يحتاج المرء أيا كان لدى دراسته وقراءته لقصائد الشعر الحديث لاكثر من وقفة تأمل وتفكير وتدقيق وتمحيص في اختيار المعايير والضوابط الموضوعية اللازمة لقراءة هذه القصيدة الحديثة أو تلك ، والعملية النقدية فيها تحتاج لعناء أكبر مما هو عليه في دراسة القصائد التقليدية القديمة ، لان الضوابط والمقاييس واضحة فيه بينما في الشعر الحديث ما زالت في طور التشكل والبداية ، وما زالت العملية النقدية فيه تعتمد على المحاولات الفردية والمزاجية حينا ، وعلى معايير مستقاة من الآداب الغربية والدراسات النقدية الوافدة حينا آخر ، ففي وقتنا الحالي ليس هناك مناهج ومدارس نقدية محلية واضحة في العالم العربي لتقوم هذا الادب أو ذاك ، وانما هناك كما سبق وأشرت هناك محاولات .

اذن تحت هذا الاطار والمنطلق سأتناول قراءة بقية قصائد العدد ، والاعتماد على دراستها من حيث المضمون وأسلوب المعالجة في بنية القصيدة هذه أو تلك والعمل على ابراز المفارقات والتوافق وبواطن القوة والضعف ، والقصائد هي (الولادة – أنور عدي ، برج ايفل – نهاد رضا ، الحب بلد الاطفال – مصطفى النجار ، الغربة معجزة الشعراء – أحمد دوغان ، الفارس – محمد مضر سخيطة ، خيامنا – محمد سعيد فخرو ، حوارية الريح والعشب – محمد

خليفة ، الثلج والعصافير الحزينة ـ سمير ددم ، أغنية تتجول على أرصفة حلب ـ صباح الدين كريدي ، ذبح الموت ـ عبد الفتاح قلعه‌جي ، اعتذار في غير محله ـ حسام الدين كردي) .

من الملاحظ لدى استقرائي لجملة القصائد الاحدى عشرة نجدها تنخرط في ثلاث مستويات فنية واضحة ، الاول منها ركيكا ضعيفا بعيدا عن روح الشعر وابداعه ، والثاني يبدو أقرب منه للنثر الى الشعر على الرغم من جمال تراكيبه وجمله اللفظية والحسية الجيدة ، والثالث ينضوي تحت لوائه شعراء مبدعين ، وقصائد واضحة المعالم والمعاني ، قوية الالفاظ والتراكيب ، تؤكد على مقدرة ناظميها في امتلاكهم الموهبة والاصالة الفنية اللازمة للابداع .

تحت هذه المستويات لا بد من استعراض نماذج من تلك القصائد للدلالة والبرهان على صحة القول بحسب تسلسلها :

أ ـ قصائد المستوى الاول :

تشكل قصيدتا (الولادة ـ برج ايفل) نموذجا لهذا المستوى ففي الاولى يطالعنا ناظمها بقصيدة غير مترابطة متفككة والسمة المشتركة في موضوع القصيدة هي الولادة في حالتين الموت والحب وقد اعتمد التكرار غير المناسب كقوله :

يولد يا حبيبتي الانسان مرتين ..

في موعد الولادة

وعندما يحب

والمرء يا حبيبتي يموت مرتين ..

حين يضيع القلب

وحين يقضي النحب

بينما الثانية تحدثنا عن برج ايفل بطريقة حوارية وأتت ضعيفة غير متماسكة ، غريبة عن شعرنا العربي والسبب في ذلك ما ورد في حاشية التعريف بالشاعر بأنها كتبت باللغة الفرنسية مما أثر بها وجعلها غريبة عما عهدنا في شعرنا العربي وكانت نثرية بمجملها يقول في بدايتها :

أ ـ برج ايفل .. يا له من عمل رائع

ب ـ أوه .. انه مجرد حديد خردة .

ب ـ قصائد المستوى الثاني :

تمثل قصائد (الحب يلد الاطفال ـ الثلج والعصافير الحزينة ـ اعتذار في غير محله) نموذجا للمستوى الثاني الذي يقوم على تراكيب وجمل جميلة رقيقة عذبة ، ففي الاولى (الحب يلد الاطفال) الذي يجعل ناظمها من الغزل والتساؤل اسلوبا لمعالجة موضوعه ، لكي يصل في نهايتها التلاحم بين الحب والوطن وتأخذ من الترجمة الذاتية وتوارد الافكار قلبا لفظيا يقول في نهايتها :

الدرب طويل يا وطني !

من ذا ..؟ من ذا يغلب فينا الحب ؟

بينما اعتمدت القصيدة الثانية (الثلج والعصافير الحزينة) على التقسيمات الرقمية تقليدا بآداب الغرب ومما يضعف بالتالي بنية القصيدة وتفكيك افكارها وتسلسلها ، وتأخذ من الرمز اسلوبا يقول فيها :

لا لست أصما ،

لم أتحجر بعد

ليست هذي صورة وجهي ،

لست تماما

مثلما أبدو ...

وتحدثنا القصيدة الثالثة (اعتذار في غير محله) عن مشكلة خاصة ذاتية موجهة الى شخص ما تأخذ من التكرار ، تكرار النفي ووحدة القافية مظهرا واضحا من البداية حتى النهاية كقوله في اولها :

لا بأس ...

لا تعتذري

لا تظهري الحزن ..

لا تبكي ...

ولا تنفجري .....

٥ ـ قصائد المستوى الثالث :

ستة قصائد ضمن هذا الاطار وهي (الغربةمعجزة الشتاء ـ الفارس ـ خيامنا ـ حوارية الريح والعشب اغنية تتجول على أرصفة حلب ـ ذبح الموت) ، تمثل بمجملها قدرات وطاقات ادبية جيدة تؤكد بشكل أو بآخر على موهبة وابداع ناظميها فكانت المضامين وطرق المعالجة موفقة الى حد ما ،ويتجلى ذلك بتناول بعض النماذج ، ففي قصيدة (الغربة معجزة الشعراء) يأخذ الشاعر من البحر رمزا ،ومعبرا للدخول في القصيدة لانه يمثل لديه عدة اشياء ،ويخفي في طياته الاسرار والترحال الدائم كقوله :

البحر يغني اغنية الموج صباح مساء

ويلوح الزبد .. يطير .. ويمضي ، ويتلاشى

كالموسيقا .. يزف الماء الى الشاطىء
والسمك البحري يداعب ذرات الماء

وتكون نهاية افكاره المتسلسلة على لسان البحر كقوله :

لم أهدأ يوما يا انسان

احمل عبء العالم

واسجل في ذاكرتي

ما يعجز عنه خيال البشر

بينما تأخذ قصيدة (الفارس) من صيغة السؤال مادة لطرح الموضوع ليجد في نهايتها التعليل لديه بقوله :

وتسأل في لحظة الشك
منذا أنا ؟
أ أنت هواك ؟
أ أنت اماني سواك ؟

وتطرح قصيدة (خيامنا) قضية تحتاج لوقفة تأمل واستغراق وتأخذ من الخيمة رمزا وبها يكون بدء القصيدة :

خيامنا على مشارف الذهول
أتعبها طول السفر

وتأتي نهايتها محددة معالم التأمل لدى ناظمها بقوله :

طال المبيت والضجر
وضاق بالشكوى الحجر
فلا تعاتبي القدر
ان ودع الحقل المطر

وتطالعنا قصيدة (حوارية الريح والعشب)بتناغم حواري بين شيئين هما الريح والعشب وكان يفيض رقة وعذوبة ، وقد برع الشاعر في يرح افكاره المليئة بالمعاني يقول فيها محذرا العشب :

والريح ... لا لون للريح ...

لا وجه للريح

لا طعم للريح .. لا عاطفة ..

بينما تحدثنا قصيدة (اغنية تتجول على أرصفة حلب) المطولة والتي يخاطب بها شاعرها شخصان عزيزان عليه مذكرا ، تبرهن بشكل أو بآخر على موهبة ناظمها الواضحة من سياق استقراءنا لجملة القصيدة الزاخرة بالمعاني والمرئيات والاحاسيس التي تخفي في طياتها ابداعات جمة في جمل وتراكيب وصور قوية وألفاظ متماسكة يقول في مطلعها

تحمل مبخرتك ، وتأتيان

في سحاب من دخان اللبان والصندل ، تأتيان

وعلى بوابة العالم الفسيح

وفوق جميع اللغات

تصدح الاغنية ، وتصعدان

ونرى بوضوح السمة الغالبة في سياق القصيدة نجدها ذا طابع مميز وخاص تفوح بالقضايا الملحة ويحتاج المرء لافراد بحثا خاصا لدراستها كاملة ، وينهي الشاعر قصيدته هذه برؤية واضحة للعالم بقوله :

العالم جميل ،
وفيه قامة سمير الفارعة
ووجهه القوي الوديع

العالم جميل ،
وفي رباه ووديانه الكثيرة
ترتع غزالته العاشقة ..

بينما تنتهي قصيدة (ذبح الموت) المطولة ايضا هذا القسم والتي تأخذ من الملحمة ثوبا ورداء لعرض فكرتها وتغوص عميقا في أغوار وأورقة الخيال ، والتأمل والاستغراق ، وفي البحث الفلسفي الواضح عن الموت والاجل المحتوم وتذكرنا بيوم الحساب والقصاص بلغة شعرية مرهفة تعج بالفلسفة والتأمل، والغور عميقا في ما وراء الطبيعة ، وتأخذ من شخوصها رمزا لتحديد ماهيتها ومعالمها يقول في بدايتها :

فوق السور الفاصل بين الجنة والنار
والرحمة باطنة والنقمة ظاهرة
صفا صفا ، جاء الملك اقترب البحار
أقبل جبريل الموت ككبش أملح
يجذبه من قرنيه

ويسترسل الشاعر في ابراز أهدافه وافكاره المفعمة ، والألفاظه القوية الواضحة التي تعالج قضية انسانية وتبرز بوضوح في نهاية القصيدة بقوله :

فوق السور الفاصل بين الظالم والمظلوم
جلجل صوت الحق :
« لا ظلم اليوم »
« لا ظلم اليوم »
« لا ظلم اليوم »

وهذه القصيدة بدورها تحتاج ايضا لافراد دراسة نقدية خاصة بها لما تحمله من مضامين غنية ومتنوعة .

٣ ـ ملاحظة هامشية :

من الملاحظ بعد اطلاعنا واستقراءنا لجملة القصائد التسعة عشر بشكل عام وموجز والتي نشرت في العدد الاول لهذا العام ـ ١٩٨١ ـ والخاص بالنتاج الادب الحديث في مدينة حلب عبر مجلة (الثقافة) الشهرية بأنها تعالج قضايا خاصة ، تلبس أثوابا مختلفة بحسب رؤية كل شاعر على حدة ، وتتسم بالذاتية والوجدانية بشكل عام باستثناء قصيدتي (أغنية على ارصفة حلب ـ ذبح الموت) اللتين تلتزمان كما لمنساه فيهما بقضايا محددة واضحة المعالم بعيدة عن الأنا الشخصي ، وهنا يتبادر لذهني جملة من الاسئلة والقضايا حول ماهية الادب بشكل عام والشعر بشكل خاص ، وما هو دوره في الحياة العامة والخاصة لمجتمعنا العربي ، في العصر الذي نحن به والذي تواجهه تحديات كبيرة وكثيرة ، وهنا لا اطالب الشعراء أن يلتزموا الزاما قضايا امتهم بل العمل على الابتعاد ما أمكن عن الذاتية والخصوصية ، لان الشاعر هو لغة عصره والمعبر عن طموحات الشعب والناطق الرسمي بهموم مجتمعه وقضاياه الملحة ، والا سأصل بدوري الى طرح سؤال مختصر ومحدد ، لماذا نكتب الشعر ..؟ ولمن ..؟ وأظن بأن الايجابة المنطقية الموضوعية لمى مثل هذا التساءل تتضح بجرة قلم لا غير ، وهي تقوم على توظيف الادب بكل اصنافه بخدمة القضايا المصيرية الملحة لجماهيرنا وأمتنا العربية ، فنحن في زمن بتنا فيه بأشد الحاجة الى كل كلمة صادقة واعية تكون رافدا وسلاحا مدعما في خدمة أهدافنا في الحياة الحرة الكريمة والوجود كأمة عربية لها مكانتها بين الشعوب والامم .

دمشق ـ آذار ـ ١٩٨١

عبد الله أحمد أبو راشد

أدب الأوطان عند العرب

بقلم : الدكتور

محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

أدب محاسن الاوطان في العربية أدب بكر لم يول بعد العناية الكافية والدراسة المستوعبة ، شأن كثير من نواحي الادب العربي وبالاخص النواحي الجمالية، وهل الادب في أمة الا مرآة صادقة تعكس تفكيرها وفلسفة نظرتها الى الحياة كما تعكس بصفائها العجيب العناصر الرئيسية التي تؤلف مادة وجود تلك الامة ومقومات ذلك الوجود .

ومن هنا كانت عناية الفلاسفة والمفكرين الفائقة في ميدان دراساتهم لامة من الامم - كانت عنايتهم تلك منصبة قبل كل شيء على ادب تلك الامة ، وخذ مثالا على ذلك المستعربين(١) الذين اوعزت اليهم سياسة دولهم بدراسة الشرق بعامة والامة العربية بخاصة لتتسنى لهم معرفة هذه الشعوب على وجه البحث العلمي لديهم ، فانك واجد حتما ان جل اهتمامهم انصب أولا على الادب العربي ، لانه الصورة الحقيقية والوثيقة الصادقة لحال الامة العربية وتطور حياتها عبر التاريخ .

واذا كان الامر كذلك في الادب العربي بعامة ؟ وهو يشتمل على نواح متشعبة تقرب وتبعد من الغاية ، فما بالك بأدب الاوطان ؟! الذي هو أصدق تعبير في نظري عن تفاعل الانسان .

واشهد ان العرب كانوا اسبق الامم الى هذا اللون من الادب ، ولهم فيه القدح المعلى واقرأ ان شئت وقوف العربي في الجاهلية وصدر الاسلام على الاطلال والدمن وبكائه منازل الاحباب ، وتعداده في شعره أسماء الاماكن التي حل بها ركب من يحب ، مثل : سقط اللوى ، الدخول - حومل - براقة ثهمد - سلع - ذي سلم - البان - العلم ... الى آخر ما هنالك مما درس فيما درس ، أو بقي رسمه ودرس اسمه ... وهذا فيما يظهر كان البداية الطيبة لادب الاوطان الذي تألق فيما بعد ليكون الوريث الشرعي لادب الاطلال ..

ولا والله ، ما رأيت أقتل من وطن ، ولا أذهب للب

المرء من ذكرى ملاعب الطفولة ومرابع الصبا ، ولا أبلغ تأثيرا في العلماء والادباء والكتاب والشعراء من ذكر اوطانهم ، فثمة تهيج أشجانهم ، وتنسكب عبراتهم وتنبعث بالاشجان اقلامهم ، وتدور في كل ما يرفع من شأن ذلك الوطن افكارهم ، وهل دفع الخطيب البغدادي الى تأليف ذلك السفر الخالد المسمى بـ (تاريخ بغداد) والحافظ بن عساكر الدمشقي الى تأليف ذلك الخضم الباقي على الدهر بقاء السموات والارض المسمى بـ (تاريخ ابن عساكر) ، وعز الدين عربي كاتبي الى تأليف كتابه (فضائل دمشق) والبدري ابا البقاء الى تأليف كتابه (نزهة الانام في محاسن الشام) والعالم المؤرخ الحلبي المعروف بابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ الذي ألف كتابه الشهير (بغية الطلب) ومختصره (زبدة الحلب في تاريخ حلب)، قلت هل دفع هؤلاء الاعلام لمثل هذا الا ما ذكرت من حب الوطن الى درجة الوله ..

وقديما قال أبو العلاء :

فيا برق ليس الكرخ داري ، وانما
رماني اليها الدهر منذ ليال

فهل فيك من ماء المعرة قطرة
تغيث بها ظمآن ليس بسال

واما شوقي فبكى في أندلسيته الشهيرة وأبكى .. قال وهو يخاطب الحمام نائح الطلح :

يانائح الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

ماذا تقص علينا غير ان يدا
قصت جناحك جالت في حواشينا

رمى بنا البين أيكا غير سامرنا
أخا الغريب ، وظلا غير نادينا

كل رمته النوى، ريش الفراق لنا
سهوا ، وسل علينا البين سكينا

اذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع
من الجناحين عي لا يلبينا

فان يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا
ان المصائب يجمعن المصابينا

ثم يقول :

لكن مصر وان أغضت على مقة
عين من الخلد بالكافور تسقينا

على جوانبها رفت تمائمنا
وحول حافاتها قامت رواقينا

ملاعب مرحت فيها مآربنا
واربع أنست فيها أمانينا(٢)

وشوقي المبتلى بحب وطنه مصر هو القائل :

وطني لو شغلت بالخلد عنه
حدثتني اليه في الخلد نفسي

وهو من أحسن ما قيل من الشعر في أدب الاوطان ولعلي لا أبالغ اذا قلت اني مبتلى مثل هؤلاء الاعلام بحب دمشق بلدي ووطني ومهوى قلبي ومبعث اشواقي واشجاني حيث رحلت او نزلت ، لا أكاد اجد في بلاد الله اجمل ولا أحلى ولا اطيب عبيرا ولا أبلغ حسنا ولا ابهى رواء منها ، فلقد اصفيتها عقلي وقلبي ، وقليل في دمشق بنظري ان يهبها المرء أغلى ما لديه ، واي عطاء في دمشق مهما غلت قيمته وارتفعت مكانته قليل .

وأشهد أن احلى ما قرأت من شعر الحنين الى الوطن ما قاله المرحوم الشاعر الكبير خير الدين الزركلي الدمشقي ودونك ما قال، وهو من سائر شعره :

العين بعد فراقها الوطنا
لا ساكنا ألفت ولا سكنا

ريانة بالدمع أقلقها
الا تحس كرى ولا وسنا

كانت ترى في كل سانحة
حسنا وأضحت لا ترى حسنا

والقلب لولا أنة صعدت
أنكرته وشككت فيه أنا

ليت الذين احبهم علموا
وهم هنالك ما لقيت هنا

ما كنت أحسبني مفارقهم
حتى تفارق روحي البدنا

يا موطنا عبث الزمان به
من ذا الذي أغرى بك الزمنا

يا طائرا غنى على غصن
والنيل يروي ذلك الغصنا

أذكرتني ما لست ناسيه
ولرب ذكرى جددت حزنا

ان الغريب معذب أبدا
ان حل لم ينعم وان ظعنا(٣)

أما أنا فقد نظمت في هذا الغرض الكثير ولكن أجدني مضطرا للاعتراف بأني ما وفيت وطني دمشق بعد ما لها علي من حقوق، وانه لمن العقوق أن يتنكر المرء لآبائه وأسرته ووالديه، بل هو من أعق العقوق واقبحه، فكيف اذا تنكر المرء وهو الباحث المفكر الذي تنعقد عليه وعلى امثاله آمال الامة كيف اذا تنكر لامته ووطنه ودينه وعروبته ولانتمائه لهذا المحتد ولهذه القيم الكبرى .؟!

ولقد وقف الرسول العظيم محمد بن عبدالله صلوات الله عليه يوم هاجر أمام الكعبة بكل خشوع مخاطبا مكة المكرمة بما فيها من المسجد الحرام والكعبة وبما اشتملت عليه من مقدسات – بصوت تكاد تخفيه العبرات المنسكبة من عينيه : (ما أطيبك وما أطيب ريحك، ووالله انك لاحب البلاد الى الله والي ولولا ان قومك أخرجوني منك ما خرجت) (٤) .

ما أكرم هذا القلب .. وما أعظم هذا الوفاء ..
وهل الحقيقة الا هذا الحد الوسط المعتدل بين جانبي الافراط والتفريط ؟!

ان انتماء الانسان الى أمة أو الى وطن او الى جماعة أو لون او عرق أمر طبعي بدهي واقعي لا مفر منه ابدا، بل هو كبد الحقيقة وعنوان الوفاء، وأي امرىء غير وفي لامته ووطنه وقومه وعشيرته غير وفي من باب أولى للانسانية، ولا ينتظر منه كبير عطاء ..

ولهذا تمدح الشعراء والكتاب والعلماء والبلغاء بحب الاوطان وتغنوا بها، وصنفوا فيها الكتب الطوال والقصار، ونظموا بها الابيات السائرات، وكتبوا الكلمات الخالدات ..

وبعد، فما الذي يضير عالما أو باحثا أو مفكرا أن يحب وطنه ويؤلف فيه كتابا أو اثرا علميا ؟ وهل كان في يوم من الايام انتساب المرء الى اسرته او عشيرته او وطنه أو امته سبة أو عارا ؟ وهل كان حب الانسان

ملاعب صباه ومراتع أوطاره عيبا مستهجنا أو وصمة قبيحة ؟! اللهم لا ، ما لم يوصل ذلك الى تأليه الوطن أو عبادته او جعل الانتساب للقوم والجماعة دينا ندين الله به ، فيقال حينئذ (كل ما زاد نقص) وشاء الله عز وجل ن أقف اليوم على منبر هذه المجلة الغراء لاكشف اللثام عن حقيقة من الحقائق الكبرى ضاعت كما ضاعت أخواتها من الحقائق بين جانبي الافراط والتفريط ودرست معالمها مع الزمن بين الغالي والقالي ، وهي في البحث العلمي النزيه لا تعدو ان تكون بين فرث ودم لبنا سائغا للشاربين .

ويقيني أن ادب العربية لا يضيق ابدا بالحقائق ولا بكشف الشبهات ، وقديما كان الادباء والكتاب يقررون فيما يقررون من وادب آراء في علم الاجتماع وسياسة الامم ونظريات وقع لديها صحتها في فلسفة التاريخ كما فعل الجاحظ وابن عبد ربه والقالي وابن خلدون والمقري وياقوت وأضرابهم من المتقدمين والمتأخرين ..

هذه جولة عجلى في أدب الاوطان ، وهو ادب واسع في العربية ، لا أزعم فيها اني وفيت الموضوع حقه ، لكني اظن أني فتحت من ذلك بابا .. والغرض من هذه الدراسة التي ستتبعها ان شاء الله دراسات بيان فضل العربية وغنائها في مختلف الآداب الانسانية وفي ذلكم بلاغ وأي بلاغ ..

الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور

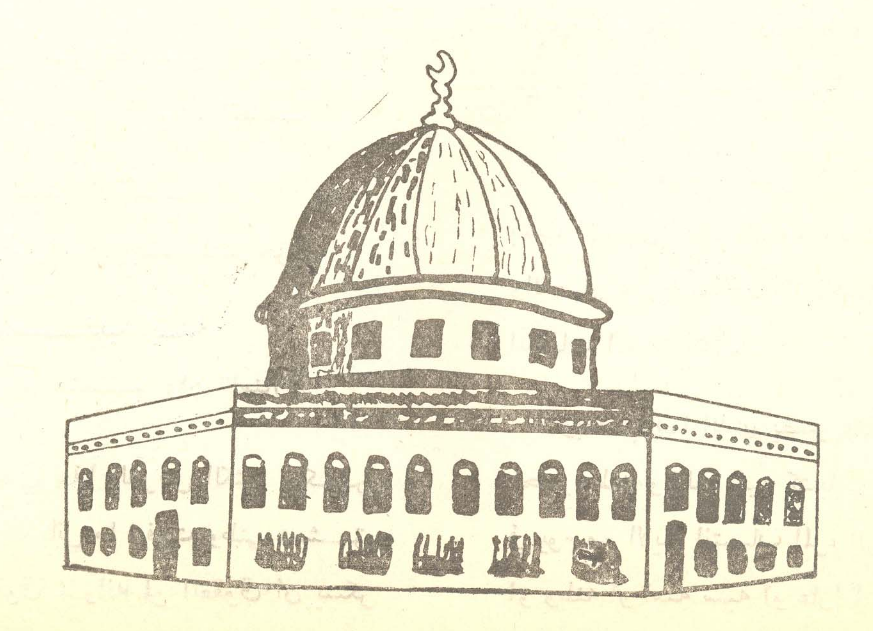
---

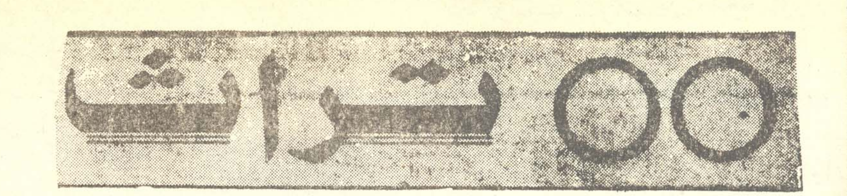
١ ـ مثل كارل بروكلمان من الالمان ورونالدنيكلسون من الانكليز واضرابهم .

٢ ـ ر الديوان ج ٢ ص ١٠٣ وما بعدها ، والطلح واد بظاهر اشبيليا كان بن عباد شديد الولع به / هـ

٢ ـ الديوان القديم ص ٨٢ ـ ٨٣

٤ ـ ذكره السهيلي في الروض الانف بقريب مما رويناه وأسنده الى الزهري عن أبي سلمة عن عبد الله ابن الحمراء يرفعه ، قال وهو أصح مايحتج به في تفضيل مكة على المدينة ا هـ ر الروض الانف ج ٢ ص ٢٣١





ياقوت الحموي

ومعجم الادباء

بقلم : عيسى الشماس

ياقوت الحموي :

اسمه ياقوت بن عبد الله الحموي . ونسبة الحموي لا تعني انه ذو صلة بمدينة حماه . فقد ولد ببلاد الشام سنة ٥٧٥ هـ ولذلك يعرف بياقوت الرومي . اما صفة الحموي فنسبة الى الرجل الذي ابتاعه وهو بغدادي اسمه : عسكر بن ابي نصر ابراهيم الحموي . كان ياقوت يلقب بشهاب الدين ، ويكنى بأبي عبد الله . وهو على الاغلب لم يعرف من أبوه ، ولهذا جعل اسمه ياقوت بن عبد الله . اذن فهورومي المولد ، حموي المولى بغدادي الدار ..

رغب عسكر مولى ياقوت ان يعلم فتاه القراءة والكتابة والحساب ليساعده في تجارته . فقام ياقوت بالعديد من الاسفار ، وكان مولعا ـ مغرما ـ بالعلم ، فتعلم شيئا من النحو واللغة وتحسين الخط .

وينال ياقوت حريته بعد جفوة مع سيده . فبدأ يكسب قوته من النسخ المأجور . فكان هذا العمل سببا في الخير الوفير الذي فاضت به ملكته في التأليف فترك لنا العديد من الكتب القيمة .

واحتاج عسكر مرة أخرى لياقوت فاستدعاه ، واستجاب ياقوت للطلب . وما ان عاد ياقوت حتى توفي عسكر فأعطي ياقوت أسرة مولاه ما أرضاها من المال واستبقى لنفسه مالا يعينه على التجارة .

في سنة ٦٠٣ هـ ترك ياقوت بغداد الى دمشق ، ولكنه ما لبث ان غادرها هربا الى حلب لتأثره بالخوارج وتحامله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . ومن حلب الى الموصل ثم اربل فخرسان حتى أقام بمرو وعمل بالتجارة ومنها الكتب .

ثم ترك مرو الى نسا ، فخوارزم التي اجتاحها التتار عام ٦١٦ هـ فهرب ياقوت لينجو بنفسه الى الموصل ثم الى حلب فأقام بظاهرها حتى توفي سنة ٦٢٦ هـ .

وقد أفاد ياقوت من أسفاره فائدة جليلة ساعدته على تأليف العديد من كتبه اضافة الى انه كان أديبا أريبا ، ذا همة عالية في تحصيل المعرفة . ومن هذه الكتب الجليلة ـ معجم الادباء ـ

منهج ياقوت في معجم الادباء .

لقد اجتهد ياقوت كل الاجتهاد في ان يجعل كتابه متميزا الى حد كبير عن بقية كتبه ، وكتب المصنفين القدامى وهذا ما كان أملا راوده منذ أحب الادب وأغرم بأخبار العلماء والادباء ، اذ لم يجد فيمن سبقوه في ذلك تصنيفا شافيا ولا تأليفا كافيا . ومن هنا فقد امتاز منهج ياقوت في معجم الادباء بالامور التالية :

أولا : يذكر ياقوت هؤلاء المؤلفين جميعا غيرانه لا يذكر من اسماء كتبهم الا القليل . ويرى ان كتاب أبي بكر الاسبيلي الزبيدي هو أفضل هذه الكتب جميعا واكثرها فوائد وأوفرها تراجم وفرائد . ورغم وفرة نفع هذه الكتب وجلال قيمتها . فهي لم ترضيه وتشبع طموحه العلمي .

ويقول موضحا منهجه في المقدمة :

وكنت مع ذلك اقول للنفس مماطلا وللهمة مناضلا رب غيث غب البارقة ، ومضيت تحت الخافقة

الى ان هزم اليأس واستولى الجد على اللعب المولع ، وعلمت انه طريق لم يسلك ، ونفيس لم يملك .. فاستخرت الله الكريم واستنجدت بحوله العظيم ، وجمعت هذا الكتاب ما وقع الي من اخبار النحويين واللغويين المشهورين والاخبارين والمؤرخين لخ ...

وهكذا يكون ياقوت قد خص الادباء وكل من لهم صلة بالادب او رابطة بالعلم مشاركة دون غيرهم بالترجمة والرواية لهم والاخبار وذكر آثارهم مما جعل هذا الكتاب متميزا عن غيره بالتخصص ،منفردا في منهجه وموضوعه .

ثانيا : التزم ياقوت بترتيب من ترجم لهم وفق حروف المعجم التزاما دقيقا في الاسم ، ثم اسم الاب ، فاسم الجد .. واذا تطابقت الاسماء جعل التقدم لمن تقدمت وفاته . أما عن الاقطار والامصار فلم يميز بين ذلك وانما ذكر الاعيان على امتداد العالم الاسلامي ويوضح ذلك فيقول :

— وجعلت ترتيبه على حروف المعجم .. اذكر أولا من أوله ألف ، ثم من أول اسمه باء ، ثم تاء الى آخر الحروف والتزم ذلك في الآباء ايضا .. الا اذا اتفق اسماء عدة رجال واسماء آبائهم فيكون التفريق بالوفاة . كما أفردت فصلا في نهاية كل حرف اذكر فيه من اشتهر بلقبه على ذلك الحرف —

والحق ان دقة ترتيب تراجم الكتاب قد جنبت القارىء كثيرا من المتاعب حين يستعين به . اذ لم تقع العين على خطأ باستثناء اخطاء نادرة جدا ربما وقعت من محقق الكتاب وليس من مؤلفه .

ثالثا : يتأرجح ياقوت في تقديم كتابه بين طبيعة ذوي الوقار وتواضع العلماء ، وبين فخرذوي التيه ، وادلال ذوي الخيلاء . ولكنه كان اقرب الادلال من الخيلاء .. اذ يقول متواضعا طالبا العفو من الزلل ، والغفران عن الخطأ بقول عذب طريف :

— وانما تصديت لجمع هذا الكتاب لفرط الشغاف والغرام ، والوجد بما حوى ، ولهيام لا لسلطان اجتديه ولا لصدر ارتجيه . غير اني أرغب الى الناظر فيه ان يترحم علي ويعطف جيد دعائه الي—

ويقول في نطاق التيه والادلال :

ترنح اعطافي اذا ما قرأته
كما رنحت شرابها ابنة الكرم
ولو اني أنصفته في مجبتي
لجلدته جلدي وصندقته عظمي

وله الحق ان يتيه بما ابدع . فكتابه من الصفوة الممتازة التي لا يستغني عنها باحث او دارس أواديب:

رابعا : اتبع ياقوت المقدمة بدراسة طريفة لفصلين:
فصل خصصه للحديث عن فضل الادب وأهله ضمنه مجموعة ممتعة من الاخبار اللطيفة العذبة حول العلم والجهل ، شعرا ونثرا . تتخللها النكتة والوصية والمقطوعة الشعرية والمحاورة .

والفصل الثاني خصصه لفضيلة علم الاخبار مع نخبة من المحاورات والاسماء والاشعار التي جعلها بمثابة التوابل اللذيذة التي تحبب المرء بالطعام ويتناوله بشهية ورغبة ممتعة .

خامسا : يضم الكتاب ألفا وخمسمائة وستين ترجمة لاعلام الآداب والمعارف منذ القرن الاول الهجري حتى زمان المؤلف ، حتى انه ترجم لمن رآهم والتقى بهم . وتتراوح الترجمة بين الطول والقصر ، بحيث تصل الى عدة صفحات احيانا ، واحيانا أخرى لاتتجاوز السبع او الثمان كلمات .

فمن التراجم الطويلة .. ترجمة الصاحب بن عباد التي استغرقت نصف الجزء السادس من المعجم . وكذلك ترجمة ابي العلاء المعري ، المزرباني النحوي / السيرافي / .

ومن التراجم القصيرة ترجمة احمد بن عبد الله المهاباذي الضرير . اذ يقول فيه :

— من تلاميذ عبد القاهر الجرجاني — له شرح كتاب اللمع —

وكذلك ترجمة الدنبوري — وابن بطويه — اذيقول: لا أعلم من امره شيئا .

ومن الطريف ان اسماء قليلة استولت على نصيب كبير من الكتاب . فالاحمدون ، والحسنون ، والعليون والمحمدون ، استولوا على أحد عشر جزءا من الكتاب البالغ عشرين جزءا .

هذا هو منهاج كتاب معجم الادباء ومحتواه للعالم الاريب والاديب النشيط . رغم صغر سنه نسبيا وزحمة اعماله وكثرة اسفاره ، وحياة الرق التي كابدها.

انه كتاب ثمين في قيمته، فريد في جوهره ، خصيب في عطائه ، كريم في فيضه ..

دمشق — عيسى الشماس

مكتبة الثقافة

لا.. واموت فداك.!

مجموعة شعرية للشاعر : عبد الكريم دندي ب ٧١ صفحة من القطع المتوسط ـ تضم خمسة عشر قصيدة ـ نشرت بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب في دمشق ـ الطبعة الاولى ١٩٨١ ـ مطابع الفردوس في دمشق .

« يا مرفأ الجنان والفداء ..
مسافة خضراء من قدري
بعض الوفاء
بعض المحبة
وتظل الراية خفاقة فو قجبين الوطن
تحية اكبار للصدق والصادقين في مرسح الحياة .. » ص ـ ٥ ـ

● الشاعر عبد الكريم دندي من الذين حافظوا على قدسية الشعر من حيث المعاناة ـ التجربة ـ الومض ـ الالهام ـ لكنه مازال أسير اللفظة الواقعية ـ انه ما زال واقعيا في كل تجاربه ، وكتاباته ، لم يرفض القديم ولم يبتعد عن الحداثة ، انه حصيلة التيارين (شعر التفعيلة والموسيقا ، والجرس ، والنغمية السلفية) .

● من زمن بعيد وهو ينشر نتاجاته الادبية في معظم صحف ومجلات القطر وخارجه ، واكثر اضاءاته من خلال نشره الشعر والنقد في مجلة ـ الاديب ـ اللبنانية ومجلة ـ جيش الشعب ـ ومجلتي الثقافة الشهرية والاسبوعية ، وكذلك صحيفة ـ البعث ـ

له عدة مخطوطات شعرية ونقدية لم تر النور بعد، انها حبيسة ادراجه ومكتبته ..

● فمن قصيدة له بعنوان من اوراق الرفيق :

« فقد يحوز الذئب كل الزاد
وتتعب العيون عند مسقط الانباء
فجددي المسير صوب النار
كل الكلام الآن لعبة ممسرحة
لا نعرف الثناء م الرياء .. » ص ـ ٧٠ ـ

تتأرجح بين الواقع المعاش والواقع ـ الما قبل ـ والذي سيأتي بعد ، تصطرع في خوالج نفسه اشياء تبحث عن هويتها الضائعة بين الانقاض ، وبعمق المتاريس ، انها المأساة لم يبق للربيع متسع او بقاء ، فالكلام يبقى فارغا اذا لم تخرسه الحقيقة ، وتقتله الطلقة ! يحب بلدته ـ سلمية ـ يغنيها برومانسية قلقة :

« والريح يا صديقتي حكاية الانسان والزمن
وغربة الاتباع تقتل الامل
فلا يكون الصبح مثلما نريد
وما لنا في موسم الحصاد غير الآه .. والندم » ص ٦٥

● انها صديقته التي لا تفارقه ابد الدهر ، انها المسكونة في قلبه ، الغيمة التي تهب العطاء ! لماذا ايتها المواسم انت بخيلة وشحيحة ؟! نحن يتاماك ،

ولنا بين السنبلة والسنبلة اغنية ومناحة ، وعلى مصاطبنا الريفية ، يزهر الفل ، ويضوع الحبق .. المنثور ، الجوري ، وتنفرج الهموم ويزول التعب !.

● عبد الكريم داندي وأول باكورة اشعاره يقول :

« الى عصافير سلمية التي هاجرت عام القحط والظمأ .. »

« كيف يمشي قاتل خلف قتيله ؟!

وانا .. انت بدايات الروايه

يوم غادرنا السواقي سرب خطاف البراري

وهجرنا العش في « ضهر السبيل »

نشرخ القهر ونجتاح المطبات القديمه

ونغني الحب في صدر النهار ..! » ص ٢٤

● في اشعاره نتلمس القهر ، الاستلاب ، التوجع ، الحنين ، ايام الشباب ، الطفولة الشقية ، الشعر المخنوق من حنجرة التجربة والمعاناة ، انها الهجرة القاتلة ، هجرة العصافير التي كانت تعرّس بين أغصان شجر التوت ـ الصفصاف وعلى البيادر الهائمة على مساحات انتظارنا ، السنونو تتوارى ؟! ايتها الاشياء الحبيسة ازرعيني في مدى بلدتي ـ دالية ، سنبلة ، بحة ناي ، موالا شرقيا يجن على رباب ـ محمد صادق حديد ووالده الذي خلد الآه والآنة والدمعة في عيون العشاق !. وشرب ـ المتة ـ تحت ضوء القمر فما بالك ايتها الاحزان تصيرين زوادة ومؤونة ؟!

« متى نرتاح من ضنك السرى يوما ؟.

متى ناتي مياه النهر يا قمري .. » ص ١٥

● والى دلال المغربي ـ التي ركزت اول راية لاول جمهورية فلسطينية دامت ساعات :

« مطر يسقط في كل الفصول

يغسل الزيف ، ويسقي عطش النفس الابيه

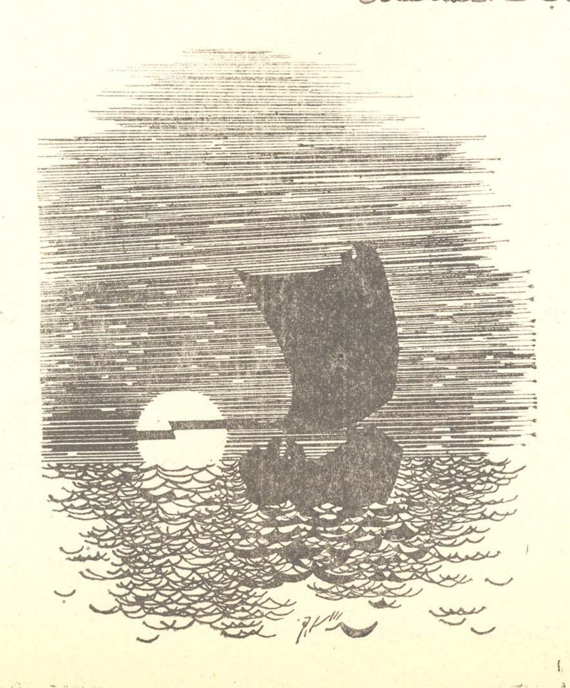
يا طريق الفتح قد عدنا اليك

نحمل الراية ، نرتاد اليفاع

نرسم اليوم حروف الابجدية » ص ـ ١٠ ـ

● والى بشارة اخرى وقصائد اكثر احتراقا ووهجا ، والى مزيد من العطاءات في دنيا العذابات والتشرد ، ان تكون القصيدة / الفرادة / في عالم ازدحمت فيه الارصفة المتخاصمة ؟!

سلمية ـ خضر عكاري



أخبار ثقافية

العلوم في الاسلام

● الى اللغة الفرنسية تمت مؤخرا ترجمة كتاب (العلوم والمعرفة في الاسلام) للاستاذ سيد حسين نصر بقلم نخبة من المترجمين ، وصدر في لندن حديثا .
الكتاب دراسة تحليلية للتصورات الفكرية عند الفلاسفة المسلمين .

* * *

أبو فراس الحمداني بالايطالية

● **باللغة الايطالية صدر في روما** مؤخرا كتاب جديد عن أبي فراس الحمداني ، بقلم المستشرق الايطالي المعروف (فرانشيسكو جبريللي) استاذ الادب العربي بجامعة روما .

* * *

نزهة الانام في محاسن الشام

● عن دار الرائد العربي للطباعة والنشر والتوزيع صدر في بيروت ، حديثا كتاب (نزهة الانام في محاسن الشام) لابي البقاء عبد الله البدري ، من علماء القرن التاسع الهجري .

يقع الكتاب في مائتين واحدى وثلاثين صفحة ـ من الحجم الكبير ـ موزعة على مقدمة في الكتاب ومصنفه ونسخته المعتمدة في نشره ، والنص المخطوط ، والفهارس الفنية المتنوعة .

● الشعر والتاريخ ●

* حديثا صدر كتاب جديد : للاستاذ الدكتور نوري حمودي القيسي ، موضوعه (الشعر والتاريخ)

يتناول الكتاب بعض الاسس التي تؤكد ضرورة اعتماد الشعر العربي في الجاهلية والاسلام مادة اساسة في كتابة التاريخ ، لا من حيث ابعاده الاجتماعية فحسب ، بل من حيث ابعاده النفسية والمكانية أيضا .

ويعرض لنماذج متعددة من شعر زهير بن أبي سلمى ، والمسيب بن علس ، وأمية بن أبي الصلت وغيرهم ليؤكد حقيقة ان الشاعر الجاهلي والشاعر الاسلامي استطاع ـ فعلا ـ أن يرصد تفاصيل الوقائع اليومية بمختلف جوانبها ، شأنه في ذلك شأن المؤرخ الذي عايش الحدث ، وسجله باقتدار .

* * *

● رفيق الدراسة ●

صدر للاديب عيسى الشماس كتاب ترجمة جديد بعنوان « رفيق الدراسة » للكاتب البلغاري انجيل كاراليتشيف والمجموعة من الحجم الصغير (٨٠) صفحة .

● الابيوردي حياته وشعره ●

* صدر ـ مؤخرا ـ في بغداد عن نقابة المعلمين العراقية ـ كتاب جديد عن (الابيوردي حياته وشعره) للاستاذ نوري شاكر الآلوسي .

* * *

نشاطات معهد التراث العلمي العربي في حلب

● استطاع معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب خلال العام الماضي بجهود باحثيه ان ينفذ عددا من الدراسات والبحوث المختلفة في موضوعات التراث العلمي العربي وان ينشرها في كتب ونشرات ودوريات منها سلاسل تاريخ العلوم الطبيعية والعلوم الدقيقة والعلوم التكنولوجية والعلوم الطبية ، ويقوم المعهد الآن باعداد عدد من الابحاث في العلوم الدقيقة العربية والطبيعية والتكنولوجيا العربية والعلوم الطبية العربية .

* * *

● من مطبوعات مجمع اللغة العربية السوري صدر في دمشق مؤخرا كتاب (تفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع وزير الرشيد والامين) صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ـ بتحقيق الشيخ محمد بهجة الاثري في طبعة جديدة منقحة .

مؤتمر التعريب الرابع وحلقة حول

تعليم اللغة العربية للاجانب

جاء مؤتمر التعريب الرابع الذي عقد بطنجة مؤخرا ، عقب مؤتمري الجزائر وطرابلس حيث تم توحيد مصطلحات العلــــوم والانسانيات فأضيف اليها مايتعلق بالتقنيات والمهنيات وبذلك استكملت لغة الضاد وحدة نسبية في القطاعات الاربعة التي تم بها تعريب كيان التعلم الثانوي .وزيادة في التحري ومسايرة لما يتجدد من مفاهيم في المضامين العلمية المعاصرة ستشكل باقتراح من مكتب تنسيق التعريب لجنة دائمة للمتابعة تضمن مسايرة لغة الضاد للتكنولوجيـــة المعاصرة .

وبذلك نفسح المجال لمرحلة ثانية في رسالة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهي تعريب التعليم العالي ، حيث سينكب المكتب على استكمال رسالته في مؤتمرات ثلاثة اخرى ستعقد لاحقا

من جهة اخرى ، فقد نظم مكتب التربية العربي لدول الخليج حلقة دراسية شارك فيها عدد من الخبراء والمختصين في ميدان تعليم العربية للناطقين باللغات الاخرى وتدارسوا الاسس العلمية لتطوير المناهج والكتب الدراسية والمعاجم التي تساعد على نشر اللغـــة العربية وتسهيل تدريسها لغير الناطقين بها .

وقد سميت لجنة من الخبراء لوضع المناهج وتأليف الكتب واختيار المواد التعليمية المناسبة .

كما شاركت المنظمة العربيــة للتربية والثقافة والعلوم بهذه الحلقة الدراسية ممثلة بالدكتور علي القاسمي خبيرها في مكتب تنسيق التعريب بالرباط .

لا .. واموت فداك

● المجموعة الشعرية الاولـى للشاعر عبد الكريم دندي .صدرت أخيرا بالتعاون مع اتحاد الكتاب العرب في دمشق - تقع هـذه المجموعة بـ (٧٤) صفحة من القطع المتوسط - وتجسد قصائدهـا هموم جيل معذب على طريق المسيرة القومية يكابد غربة الروح بين القول والفعل ونوازع النفس الى الجاه والسلطان .

صمم الغلاف الفنان رياض كجك

* * *

● الدكتور عارف تامر ●

- في مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب الذي عقد في كلية الاداب في جامعة حلب بمناسبة مرور الف عام على ولادة ابن سينا حاضر الدكتور - عارف تامر - حول هذا الموضوع كما تحدث عنه بعد ذلك في ندوة اذاعتها محطة دمشق في ١٨-٥-١٩٨١ .

الورق الاصفر الفاتح

يخفف التوتر والقلق !

الكتابة على الورق الاصفر الفاتح والذي يشبه في لونه ونعومته لون عصافير الكناري المعروفة برقتها - يخفف حدة التوتر والقلق هـذا ما توصل اليه احد علماء النفس في انكلترا بعد تجارب دامت عدة سنوات .

وقد لاحظ العالم النفسي ان الذين يستعملون هذا الورق في الاعمال الكتابية تقل نسبة التوتر والقلق لدنهم اثناء العمل عن أمثالهم الذين يقومون بنفس الاعمال الكتابيـة مستخدمين فيها الورق التقليـدي ذو اللون الابيض .

والطريف ان ٦٠ في المائة من الورق المباع خلال العام الماضي كان من ذلك الورق الاصفر الفاتح ممـا يشير الى زيادة الاقبال عليه .

● رحيل الكاتب وليم سارويان ●

- توفي الكاتب الكبير وليـم سارويان عن عمر يبلغ ٧٢ عاما ، وسارويان يعد من كبار كتـاب العصر ، واشتهر الى جانب فنه الادبي « قصة ، مسرح » بمواقفه التقدمية التي تدين الظلم وتدعو الى السلام ، وكانت اخر مشاركة عالمية له في اللقاء العالمي الثالث للكتاب ، الذي انعقد في صوفيا ١٩٨٠ تحت شعار « السلام امل عالمنا »

ولد الكاتب الارمني سارويان ١٩٠٨ في ولاية كاليفورنيا الامريكية في ظروف صعبة ، عاش فيها الفقر وعمل بائع صحف ، ساعي بريد وفي احدى المزارع .

ومن الجدير بالذكر ان كتبه ترجمت الى اكثر لغات العالم واخر ماترجم منها الى العربيـة كتابه « الكوميديا الانسانية ومن هناك ؟ » .

● كتاب الايضاح والبيان في معرفة المكيال والميزان ●

* بتحقيق الدكتور محمد احمد اسماعيل الخاروف الاستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة – صدر حديثا عن مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة (كتاب الايضاح في معرفة المكيال والميزان) لابي العباس نجم الدين بن الارفعة الانصارى (المتوفى سنة ٧١٠ هـ) .

الكتاب واحد من أنفس كتب التراث المتعلقة بوحدات نظم التعامل الشرعية في الاسلام ، في أوزان النقد والوزن المجرد ، صنفه واحد من كبار فقهاء الشافعية في القرنين السابع والثامن من الهجرة بعد ان مارس القضاء ، وأشرف على دار المعيار في مصر .

اعتمد المحقق في توثيق نصوص الكتاب ودراسته ، ونشره على أربع نسخ خطية له ، محفوظة في خزانة المخطوطات بدار الكتب المصرية : ضمن مجموعة تحت رقم (٩٩٣٦٤ ج) وتحت رقم (٤ حسابات ٤٧٦٥ ألف) وتحت رقم (٣٥٩ رياضيات تيمور) وتحت رقم (٣١٢ رياضيات تيمور) .

يقع الكتاب في مائة واربع صفحات – من الحجم الكبير – موزعة على : مقدمة التحقيق ونص الكتاب ، والفهارس الفنية المتنوعة ، ويتضمن النص الكلام على : الاجازة ، والاقرار ، وخراج السواد ، والمسابقة ، والشرط الذي يفسد البيع ، وصدقة الورق والظهار .

* * *

● درة الغواص ●

* في تونس – اصدرت المكتبة العتيقة للطباعة والنشر والتوزيع حديثا ، كتاب (درة الغواص في محاضرة الخواص) لبرهان الدين ابراهيم بن فرحون المالكي – بتحقيق الاستاذين محمد أبو الاجفان وعثمان بطيخ .

* * *

● المخطوطات العربية في المتحف البريطاني ●

* في الكويت – صدر حديثا ، عن قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي – كتاب جديد للدكتور عبد الله يوسف الغنيم عن المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني)

● المعاصرون ●

* اصدر مجمع اللغة العربية بدمشق كتابا جديدا يحمل اسم « المعاصرون » وهو من تأليف الاستاذ المرحوم « محمد كرد علي » وقد اشرف على تحقيقه وطباعته وتصحيح بعض عباراته والفاظه واعداد فهارسه الاستاذ محمد المصري .

يقع الكتاب في حدود الـ ٥٣٦ صفحة من الحجم الكبير . وقد اشتمل – كما يذكر الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية – على اوراق شتى تبين انها أصول كتاب لم يفرغ « كرد علي » من تنقيحه وتحريره ، وقد ترجم فيه طائفة من ادباء وعلماء البلاد العربية ، بالاضافة الى مجموعة من المستشرقين ممن كانت تربطه بهم صداقة راسخة ، نشأت عن طريق المؤتمرات والندوات واللقاءات ، او عن طريق المراسلة الشخصية .

تضمن الكتاب سبعا واربعين ترجمة ، رتبها المحقق حسب حروف الهجاء ، وجعل لها ارقاما متسلسلة من هؤلاء الادباء نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

احمد شوقي ، جرجي زيدان ، حافظ ابراهيم ، جميل صدقي الزهاوي ، عبد الرحمن الكواكبي ، كارل نلينو ، قاسم امين ، وغيرهم .

* * *

● القصة الفلسطينية بالالمانية ●

* ينصرف عدد من المستعربين الالمان حاليا الى ترجمة مجموعة كبيرة من القصص التي كتبها الادباء الفلسطينيون منذ كارثة النزوح مع تركيز خاص على القصص التي صدرت بعد بدء الكفاح المسلح واندلاع الثورة الفلسطينية ويوجد بين القصص المترجمة عدد من الاقاصيص التي كتبها الشهيد غسان كنفاني .

وستصدر هذه المجموعة في كتاب عن احدى دور النشر في المانيا الديمقراطية .